وزارة التعليـم العالي والبحـــث العلمـي

جامعـــة العربي بن مهيدي –أم البواقي–

قسم اللغات و الادب العربي

مذكرة تخرج تكميلية لنيل شهادة ماستر تخصص ادب قديم بعنوان

الأنساق الثقافية في رسائل ابن المقفع –الأدب الصغيروالأدب الكبيرأنموذجا-

من إعداد الطالبة:

عائشة خليل

إشـــــراف:

د. سكينة قدور

لجنة المناقشة

الاسم	الصفة	الجامعة
الأستاذ رابح محوي	رئيسا	جامعة أم البواقي
الأستاذة سكينة قدور	مشرفا	جامعة أم البواقي
الأستاذ هارون لعبيدي	مناقشا	جامعة أم البواقي

السنة الجامعية:2022-2023 م.

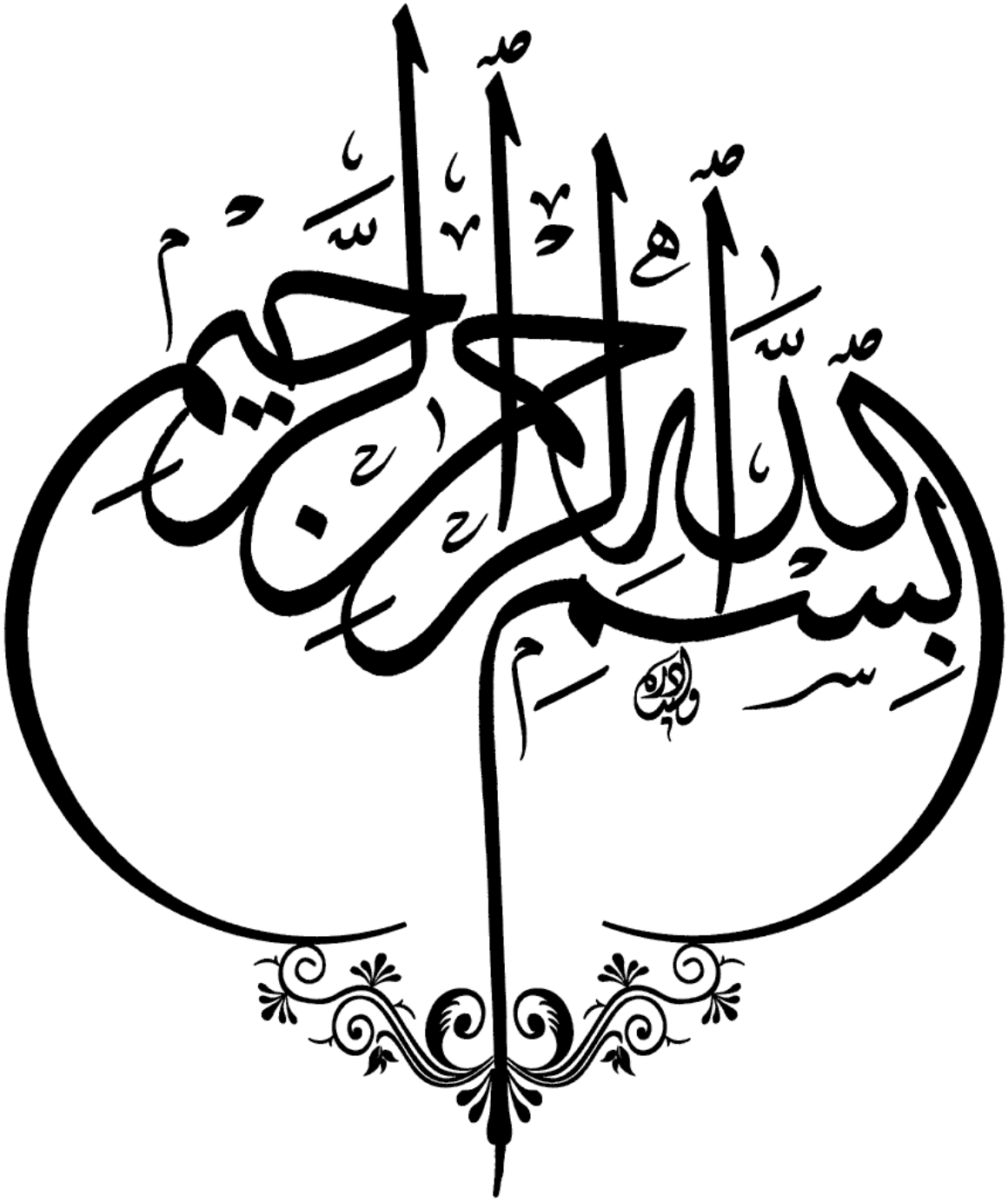
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

الفاتحة [1-2]

قال تعالى

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

المجادلة [11]

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة... ﴾

رواه أبو داود والترمذي

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" من صنع إليكم معروفا فكافئون فإن لم تجدوا ما تكافئونخ فادعوا

له حتى ترو أنكم قد كافأتموه" وراه أبو دواد

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يشكر الله من لا يشكر الناس" رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد

عرفانا بالجميل لأهل العطاء أتقدم بأرقى كلمات الشكر والعرفان والثناء لأستاذتي

"سكينة قدور"

التي جمعت بين الجد والحزم والطيبة وحبها لعملها فكانت القدوة لكل طالب، والتي

لم تبخل علي بأي توجيه او تقييم منهجيا كان أو معرفيا

فقد بسطت يدها بكل سخاء فجزاها الله خير الجزاء وبارك في مجهوداتها

ورزقها الصحة والعافية

عائشة خليل

إهـــداء

إلى كياني وسر سعادتي واستمراري في الحياة بكل أمل وتفاؤل

إلى من علماني أن الحمد لله هو منهاج الحياة وأن الاعتراف بنعم الله يجعلنا ننعم بالسعادة الحقيقية

إليكما يا مدرسة الأخلاق والتربية والمبادئ والقيم الإنسانية

لـ:"أبي و أمي"

أهدي جهدي المتواضع

عائشة خليل

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
آيات	
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول: الأدب العربي القديم والنقد الثقافي	
مدخل إلى النقد الثقافي	**1**
أولا :تعريف النسق الثقافي	**4**
1.مفهوم النسق	**4**
أ. لغة	**4**
ب- اصطلاحا	**5**
2.مفهوم الثقافة	**6**
أ. لغة	**6**
ب- إصطلاحا	**7**
3.مفهوم النسق الثقافي	**9**
ثانيا : الأدب القديم والدراسات النقد ثقافية	**13**
1.النادرة	**14**
2.الحكاية	**17**
3.الأخبار	**19**

ثالثا: أدب ابن المقفع	**20**
1. النزعة الإصلاحية عند ابن المقفع	**22**
2.آثار ابن المقفع	**29**
3.أسلوب ابن المقفع	**35**
الفصل الثاني: الأنساق الثقافية في الأدب الصغير والأدب الكبير	
تمهيد	**40**
أولا:الأنساق الفكرية	**41**
1.الأب الأول(الأفضلية)	**41**
2.العقل	**43**
3.العلم	**45**
ثانيا.الأنساق السياسية	**46**
1.السلطان–الولاية	**47**
2.المشورة	**49**
3.الملك	**50**
ثالثا.الأنساق الاجتماعية	**50**
1.الصداقة	**51**
2.المرأة	**53**
3.الغاية	**54**
4.إصلاح النفس	**54**
خاتمة	**57**
قائمة المصادر والمراجع	**62**
ملحص	

مقدمة

مقدمة :

أفرزت البلاغة التي تؤسس للقراءة النقدية الجمالية بمعزل عن الحرية والعقلانية، مستندة إلى الجمال منبعثة من الوجدان أنساقا متجذرة عبر الزمن، ضاربة في عمق الشخصية العربية جعلتها ملتزمة لقوانينها ملتحفة عباءة الجمال مؤسسة لقيم قولية معزولة عن الفعل، فتعرت أمام محك دراسات النقد ثقافية لتتجلى في مظاهر القيم، والمثل، والمروءة، والعدل، وغيرها من المبادئ الأخلاقية، والسياسية، والدينية، التي تحظى بالتقدير الإجتماعي بمعزل عن التفعيل الواقعي فقد باتت صنما بلاغيا حبيس الشعارات والعالم المثالي لا تتعدى الإنتشاءات القرائية، لذا جاءت دراسات النقد ثقافية المكملة للدراسات الما بعد حداثية، حتى تعطي قراءة نقدية مغايرة للجذر البلاغي، باعثة نصا جديدا بمعايير نقدية مختلفة.

لذا اخترنا ان يكون موضوع بحثنا : **الأنساق الثقافية في رسائل ابن المقفع –الأدب الصغيروالأدب الكبيرأنموذجا–**

فكان هدف بحثنا هو رصد الأنساق الثقافية في الأدب الصغير، والأدب الكبير لابن المقفع الذي كان من رواد ومؤسسي النثر الفني، والذي شهد ثورة في جميع الميادين في عصره، وعاش صدمة قيم تمثل جزءا أصيلا ولصيقا بالمجتمع العربي، فكان قلمه ثائرا، و منتقدا، ومصلحا على جميع الأصعدة، لذا اخترنا آليات القراءة النقد ثقافية وسيلة لمقاربة هذه المدونة، ومن أسباب اختيار هذا الموضوع هو فضولنا العلمي في تطبيق هذا النقد الذي لا يزال محل نقد في حد ذاته خصوصا وأنه كشف اللثام عن الدور الحقيقي لجمالية البلاغة، إضافة إلى ذلك أدب ابن المقفع الذي كان في أغلبه مشفرا يستحق الدراسة بآليات القراءة النقد ثقافية.

وكانت الإشكالية التي فرضت نفسها من خلال هذا العمل هي:

- **فيما تتحدد الأنساق الثقافية في الأدب الصغير، والأدب الكبير؟ وما هو الهدف الذي يرمي إليه ابن المقفع من وراء هذا الكتاب، وهل له علاقة بنقد الوضع السياسي، والاجتماعي في العصر العباسي؟**

وما هي إنعكاسات هذه الأنساق على حياة ابن المقفع نفسه إثرنقده للسلطة وإدارتها في المجتمع؟

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى فصلين أولهما نظري بعنوان: الأدب العربي القديم، والنقد الثقافي يتجزأ بدوره إلى ثلاثة عناوين وهي:

- **مدخل إلى النقد الثقافي.**
- **الأدب القديم والدراسات النقد الثقافي.**
- **أدب ابن المقفع.**

أما الفصل الثاني، فكان تطبيقيا معنونا **بالأنساق الثقافية في الأدب الصغير والأدب الكبير**، حاولنا فيه استنباط أهم الأنساق الثقافية في المدونتين، وهي الأنساق الفكرية والأنساق السياسية، والأنساق الاجتماعية معتمدين في ذلك على المصدر، وهو رسالتي الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، وقد استأنسنا في هذه الدراسة بمجموعة من الدراسات نذكر منها:

كتاب النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله محمد الغذامي، والذي ساعدني وأفادني في تأسيس القراءة النقدية لهذه المقاربة وكيفية تطبيقها رغم أن الغذامي طبق دراسته على الشعر إلا أن مفاتيح الدراسة كانت مشتركة، ورسائل ابن المقفع كانت تحمل من البلاغة ما يجعلها تتساوى مع الشعر رمزية ونسقية.

وكذا كتاب الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ، عبد الحميد الكاتب لعبد الأمير شمس الدين، والذي أفادني في التعرف على الجانب التربوي، والنزعة الإصلاحية لابن المقفع، وكتاب عبد الله بن المقفع مفكر وقضية لسالم المعوش الذي كان شاملا في التناول واستفدت منه من التعرف على خصائص

أدب ابن المقفع إضافة إلى بعض الدراسات السابقة التي تناولت الأنساق الثقافية في التراث العربي أهمها: استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ دراسة ثقافية في كتاب البخلاء، وألف ليلة وليلة قراءة في الأنساق الثقافية أما عن الصعوبات التي واجهتنا فهي ندره دراسات النقد ثقافية في التراث العربي خاصة منها الكتب فجل الدراسات كانت على شكل رسائل، ومقالات جامعية، وجل دراسات النقد ثقافية اهتمت بالشعر أكثر من النثر.

ومن أشق الصعوبات التي واجهتنا هي الوقت فقد مررنا بظروف حالت دون إعطاء هذا العمل ما يستحقه من الوقت، فوجدنا أنفسنا في صراع وتحد كبيرين مع الوقت.

الفصل الأول

✓ الأدب العربي القديم والنقد الثقافي

مدخل إلى النقد الثقافي

يعتبر النقد الثقافي نقدا إيديولوجيا بالدرجة الأولى، كما يجمع بين الفكر والعقيدة, فهو يهتم بدراسة المؤلف وسياقاته, كما يهتم بدراسة القارئ والناقد على السواء ,عبر تحليل الخطاب , وبما أنه لكل نقد أسس يقوم عليها السبر أغوار النص فإن الأسس التي يرتكز عليها النقد الثقافي ,هي استنباط الأنساق المضمرة هذه الأخيرة التي تشكلت عبر التفاعل مع أنشطة الحياة، واختلطت معاييرها بين معايير مبدع ومعايير الثقافة فكانت النواة الأساسية للنقد الثقافي.

"طرح فينسنت لتش ***vincent leitch*** مصطلح النقد الثقافي, مسميا مشرعه بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل, يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج الأدبي النقدي.

ويقوم النقد الثقافي عند ليتش ***leitch*** على ثلاث خصائص هي:

أ. لا يؤطر النقد الثقافي فعلا تحت إطار التصنيف المؤسسات للنص الجمالي بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء كان خطابا أو ظاهرة.

ب. من سنن هذا النقد أن يستفيد من منهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية , إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

ج. إن الذي يميز النقد الثقافي ما بعد بنيوي, هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي ,كما هي لدى بارت ودريدا، وفوكو خاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص

وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي الما بعد بنيوي, ومعها مفاتيح التشريح النصوصي كما عند بارت وحفريات فوكو".[1]

فالدراسات النقد ثقافية لم يعد النص مركزها, في الاهتمام والدراسة ولا أثره الإجتماعي, وإنما "صارت تأخذ النص, من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه , من أنظمة ثقافية"[2] فالنص هو وسيلة ومادة خام لكشف أنماط معينة , وإشكاليات إيديولوجية وأنساق التمثيل ,"وأفضل ما تفعله الدراسات الثقافية هي وقوفها على عملية إنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها"[3]

وبدأت الدراسات النقدلثقافية بصفة رسمية" **1964** منذ أن تأسست مجموعة **بيرمنجهام**"[4] .إننا لا نستطيع أن نعرف النقد الثقافي تعريفا محددا أو نقدر معناه تقديرا واضحا حيث يرى كل من سعد البازعي وميجان الرويلي أن "النقد الثقافي دلالته العامة, يمكن أن يكون مرادفا للنقد الحضاري كما مارسه العقاد وأدونيس ومحمد عابد الجابري وعبد الله العروي ,لذا فهما يعرفان النقد الثقافي على أنه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ,ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"[5]

كما أن النقد الثقافي لم يصنف كمنهج ,ولا على أنه نظرية ولا فرع من فروع المعرفة بل هو ممارسة ودراسة لكل ما تقرره الثقافة ويبين لنا ذلك صلاح قنسوة:" إن النقد الثقافي ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية كما انه ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها بل هو ممارسة أو

1- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المرجع السابق, ص 31-32.

2 – المرجع نفسه، ص 17.

3 – المرجع نفسه، ص 18.

4 - ميجان الرويلي, سعد البازعي, دليل الناقد الأدبي، ط3, 2002، المركز الثقافي العربي,المغرب,ص 305.

5 عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية,المرجع السابق ,ص 19.

فاعلية تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثقافة من نصوص, سواء كانت مادية أو فكرية ويعني النص هنا كل ممارسة قولا أو فعلا تولد معنى أو دلالة"[1].

وبهذا الصدد يقول حفناوي بعلي" النقد الثقافي نشاط وليس مجال معرفيا قائما في ذاته, وهو لا يدور حول الفن والأدب فحسب, وإنما يدور حول دور الثقافة في نظام الأشياء, بين الجوانب الجمالية والانثروبولوجية "[2]

أما عن وظيفة النقد الثقافي فيقول الغذامي :" تأتي وظيفة النقد الثقافي في كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي وليس في نقد الثقافة هكذا بإطلاق أو مجرد دراستها ورصد تجلياتها وظواهرها وحين نقول ذلك فإننا نعني أن لحظة هذا الفعل هي في عملية الاستهلاك"[3]

كما أنه يرى في هذا النقد هو نقد للمضمون الثقافي الذي يحوي بداخله أنساق ممرة عبر أخطر الحيل البلاغية وفي ذلك يقول:" هذا الجهد النقدي هو نقد للمتن الثقافي والحيل النسقية التي تتوسل بها الثقافة لتعزيز قيمتها الدلالية ومن مظاهرها:

- تغييب العقل وتغليب الوجدان وهي أخطر الحيل البلاغية والشعرية.
- العزل بين اللغة والتفكير مع إعطاء الجمالي قيمة تتعالى على العقلي والفكري.
- التبرير لكل قول شعري وكل شخصية شعرية ما غرس أنماط من القيم منحت ديمومة وسحرية جعلته مرتهنا لعيوب نسقية لا مهيأ لأن يقود خطاب التحديث وهو العائق التحديثي"[4]

نخلص إلى أن النقد الثقافي ,هو ممارسة متشبعة بعدة مناهج لا تستغني عنها, منها المنهج النفسي والسيميائي والسوسيولوجي **(الإجتماعي)** والبنيوي وعدة فلسفات أخرى فهو يهتم بعملية إنتاج الثقافة

1 صلاح قسوة: تمارين في النقد الثقافي ,الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، د ط، 2007 ص 11.
2 حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007، ص 11
3 عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية, المرجع السابق, ص 82.
4 ينظر ، المرجع نفسه,ص83.

وتوزيعها استهلاكها انطلاقا من تحليل الخطاب وتفكيكه, جماليا وبنيويا وسميائيا وأسلوبا لرصد التظمهرات الثقافية ,واستخلاص الأنساق المضمرة, وفضح الإيديولوجيات ونقد الأساطير المؤسساتية في شكل أحكام و خلاصات وإستنتاجات ثقافية.

أولا :تعريف النسق الثقافي

1.مفهوم النسق

أ. لغة:

النسق في دلالته اللغوية" النسق من كل شيء, ما كان على نظام واحد في عالم الأشياء , ونسقته تنسيقا وانتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت".[1]

وجاء في لسان العرب تعريف النسق في اللغة" النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء وانتسق هو وتناسق والاسم النسق وقد إنتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت"2

ويعرف النسق أيضا في اللغة في معجم الوسيط" نسق الشيء نسقا: نظمه, فيقال نسق الدر ,ونسق كتبه والكلا عطف بعضه على بعض.

أنسق فلان: تكلم سجعا، ناسق بين أمرين: تابع بينهما ولاءم.

نسقه ونظمه والنسق: ما كان على نظام واحد من الشيء ويقال جاء القوم نسقا، وزرعت الأشجار نسقا."3

---

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ج4، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424-200 ,مادة (ن.س.ق),ص 218

2.ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب, مادة(ن.س.ق) م14, ط1, دار الصادر للطباعة والنشر ,بيروت, لبنان1863ص247

3.إبراهيم مصطفى, أحمد حسن الزيات, وآخرون: المعجم الوسيط, مادة نسق, ج1, المكتبةا لإسلامية ,للطباعة والنشر والتوزيع(دت), إسطنبول تركيا، ص918

إذا من التعاريف اللغوية السابقة نستنتج أن النسق في مفهومه اللغوي هو التلاؤم والتنظيم والترابط بين الأشياء أو بين الأفكار أو الإنسجام والإتساق في المعاني أو في نظم الأجزاء لتكون منسجمة وسلسلة فيما بينها.

ب- اصطلاحا:

بما أن النسق هو الترابط والتكامل بين الأجزاء في المفهوم اللغوي فإن هذا المفهوم يرتبط بالمفهوم الإصطلاحي حيث يعرف تالكوت بارسونز talcott parsons النسق بأنه" نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتخذ علاقتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تتبع من الرموز المشتركة والمقررة الثقافية في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"[1]

ويعرفه الغذامي ب :" مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة, ولما كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى وهو إنتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الإجتماعية والثقافية السائدة, فإن النسق ليس نظاما ثابتا جامدا إنه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية أي أنه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الإجتماعية والثقافية"[2].

ويعرفه نعمان بوقرة:" ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية ,إلا أن هذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه كأن نقول: إن لهذه الرواية نسقها

1. أديث كوزيل: عصر البنيوية , تر : جابر عصفور ،ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، ص 411.
2. عبد الله الغذامي: النقد الثقافي,قراءة في الأنساق الثقافية العربية,المرجع السابق, ص 76.

الذي يولد توالي الأفعال فيها أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها".[1]

2.مفهوم الثقافة:

هي ذلك الكل المركب والمعقد, في تكوين شخصية الإنسان, منذ نشأته وحتى انتهائه, فهي تشمل الجانب الإجتماعي والنفسي والديني والأخلاقي فهي موروث حضاري يعكس الفكر الجمعي لكل مجتمع كما يعكس اللاشعور الجمعي في كل فرد ينتمي إلى ذلك المجتمع.

تقع الثقافة:" بين منظورين: خاص وعام ولهذا فإن أي محاولة لتعريفها سوف يعتريها القصور والنقص آية ذلك أن الثقافة لا يمكن تعريفها بمعزل عن مجتمعاتها التي أنجبتها.

وإذ ذاك فإن الخصوصية التي تميز الثقافة, تصل بها إلى حد الإنغلاق من حيث خصوصيتها الذاتية ومحليتها وزمنها التاريخي, ومهما حاولت الثقافة أن تتخلى عن خصوصيتها قصد الوصول إلى العالمية فإنها تظل محدودة بمحليتها وبنظامها التي تفرزها وتغلقها على ذاتها أو على سياقاتها الذاتية في زمنها التاريخي.[2]

أ. لغة :

ورد في لسان العرب" الثقافة العمل بالسيف قال:

فإما تثقفوني فإن أثقف فسوف ترون بالي.

1. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، (دراسة معجمية) ط1 ، عالم الكتب الحديث، عمان 2003، ص 140-141.

2. بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر،دار الوفاء الإسكندرية,ط1، 2006 ص 226.

وفي الحديث: إذا ملك 12 من بني عمرو بن كعب كان الثقف والثقافة إلى أن تقوم الساعة يعني الخصام والجلاد والثقاف: جديدة تكون مع القواس والرماح يقوم بها الشيء المعوج"[1]

ورد أيضا في معجم العين:

" ثقف" قال أعرابي: إني لثقف لقف راو رام، شاعر.

وثقفت فلانا في موضع كذا أي أخذناه ثقفا,وثقيف: حي من قيس وخل ثقيف قد ثقف ثقافة.

ويقال: خل ثقيف على قوله: خردل حريف، وليس بحسن والثقاف: حديدة تسوى بها الرماح ونحوها والعدد أثقفة، وجمعه: ثقف والثقف مصدر الثقافة وفعله ثقف إذا لزم وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه.

وقلب ثقف: أي سريع التعلم والتفهم"[2]

ب- إصطلاحا :

يتعدد مفهوم الثقافة بتعدد الفكر, وطريقة التفكير فهو واسع, لا يحصر بمفهوم أو يتم التصديق عليه.

"تتشكل الثقافة من خلايا حيوية, تستوعب العناصر الحية في السياقات التي حولها: الدين والتاريخ والتراث الشعبي والفن والأدب والسياسة... ولأنها خلايا حيوية ليس من طبيعتها الجمود, ولا أن تبقى موفورة الصحة أو معتلة وحتى تحافظ على نظارتها عليها أن تجدد الهواء الداخل إليها, فلا تكتفي بالمحلية بل تتجاوزها إلى العالمية, ولكن ليس كل ما يدخل إلينا, هو تقوية لثقافتنا أو تجديد لفكرنا, فإن ما ينتجه الفكر, ينبغي ألا ينتهي بما دخل إليه كي لا ننسلخ عن ثوابتنا, أو تزيد على نسبة الاغتراب عنها"[3]

يعرفها آرثر ايزا بيرجر **arthur asaberger** في كتابة النقد الثقافي بأنها :

"اسم جماعي لجميع النماذج السلوكية المكتسبة اجتماعيا, والتي يتم نقلها عن طريق الرموز, نظرا لأن الإسم يطلق على جميع الإنجازات المميزة للجماعات البشرية, بما في ذلك اللغة وصناعة الأدوات

1.ابن منظور: لسان العرب، مادة : (ن.س.ق) م 3، ص 28.

2.الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ,تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ج1، المحتوى (أ. خ) ص 204.

3. ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص 189 .

والصناعة والفن والعلوم والقانون والحكومة والأخلاقيات ,بل أيضا الأدوات المادية أو الصناعات اليدوية, التي يتم فيها تجسيد الإنجازات الثقافية, وبأي سمات ثقافية فكرية ستحظى بالتأثير العلمي مثل المباني والأدوات والمكينات, وأجهزة الإتصالات والأعمال الفنية ونظرا لأن الثقافة يتم نقلها من خلال عمليات التدريس , والتعلم سواء كان رسميا أو غير رسمي وبما يسمى بالتعليم البيني سيكون الجزء الأساسي من الثقافة, موجودا في النماذج المجسمة للتقاليد الثقافية للجماعة الأولى, وهي المعرفة والأفكار والمعتقدات والقيم والمعايير والمشاعر السائدة في الجماعة"[1].

فهو ينوه ويؤكد وينبه أن:" هذه الجماعات تتغاير إلى حد كبير وذلك بالإعتماد على جميع أنواع المتغيرات, مثل المنطقة الجغرافية والدين واللغة والطبقة الإقتصادية والاجتماعية"[2]وفي كتاب الأنثروبولوجيا الثقافية يقدم:" كونراد فيليب كوتاك 1987 conrad philip kotak تعريف المماثلة للثقافة فنجد الإشارة إلى أن الثقافة تعد سمة مميزة, لجميع الكائنات البشرية الأعضاء بالمجتمع,ويمضي في قوله:" إن الثقافة تضم سلوكا محكوما بالقواعد ومشاركا, ويقوم على الرمز ويتم تعلمه وكذلك معتقدات يتم نقلها عبر الحضارات"[3]

كما عرفها إدوارد بيرنت تايلور edward. Urnett taylor 1822-1918 في أواخر القرن التاسع عشر, في كتابه عن الثقافة البدائية حيث يقول الثقافة هي :" كل مركب يشتمل على كل معرفة, والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"[4]. رغم اختلاف الحقول المعرفية, واتجاهات العلماء ,في تشكل مفهوم

1 آرثر أيزابرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر وفاء إبراهيم ورمضان بسطاوسي، المجلس الأعلى للثقافة شارع الجبلاية بالأوبرا، الجيزة، القاهرة، ص 191-192 .

2 المرجع نفسه ص 192.

3 المرجع نفسه ص 192.

4.ريتشارد الياس: وآخرون نظرية الثقافة، تر علي السيد الصاوي، د.ط علم المعرفة، الكويت 1978 ص 09.

الثقافة,إلا أنها ترسي قواعد أساسة تمثلت في الموروثات الإجتماعية (عادات وتقاليد وقيم) والمعرفة والاتجاهات والخيال والفن.

"والثقافة في بعدها العام هي إسم لسيرورة عامة تخص تشكلات سبل الحياة ووسائطها[1].

"الثقافة تحيط بعالم الفن والخيال والأفكار كما تحيط أيضا بالتشكلات البشرية حيث يكون الكل أكبر من مجموع العناصر مما يصعب معه تعريف الثقافة بجانبيها الذاتي والعام ما لم يدخل المرء في ضرب من التخمين الإفتراضي الذي هو نفسه إفراز ثقافي"[2]

"وعلى الرغم من أن معظم دارسي الثقافة لم ينكروا انحياز الذات إلى ثقافتها واصطباغها باللون الشخصي ,حتى وهي تحاول أن تتموضع فإنهم لم ينكروا كذلك كليتها وشموليتها"[3]

من التعاريف السابقة نستنتج أن تعريف الثقافة, مركب ومتشابك يتفق في مقوماتها, بين كل أمة وهي مرآة عاكسه لكل حضارة إذ تمثل الأنا الجمعي لكل مجتمع.

3.مفهوم النسق الثقافي

تلتحف صور البلاغة بموروثات وخلفيات ثقافية,تكتشف من سياقتها التي صيغت في قوالب إجتماعية وفكرية وسياسية ,هذه الأخيرة التي أفرزت أنساقا تمرر للمتلقي, بأثواب مختلفة كالقيم والمثل, متقنعة بقناع الحكمة والنصح والتوجيه.

"يتحدد مفهوم النسق عند الغذامي عبر وظيفته, وليس عبر وجوده المجرد, و الوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد ويكون المضمر ناقضا وناسخا للمظاهر, ويكون في نص واحد أو في ما هو في حكم النص الواحد ويشترط في النص أن يكون جماليا, وأن يكون جماهيريا ولسنا نقصد الجمالية حسب الشرط النقدي المؤسسات وإنما الجمال هو ما اعتبره الرعية الثقافية جميلا.

1.بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر،المرجع السابق، ص 226.

2.المرجع نفسه، ص 226- 227

3.المرجع نفسه، ص 227.

ونحن نستبعد هنا (الرديئ) و(النخبوي) عبر شرطي الجمال والجماهيري, كما نستبعد التناقضات النسقية التي تحدث في مواقع مختلفة وفي نصوص متباينة .

وتحديدنا لهذه الشروط راجع إلى أن مشروع هذا النقد يتجه الى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية, وأهم هذه الحيل يصبح مشروعا في نقد الثقافة وهذا لن يتسنى إلا عبر ملاحقة الأنساق المضمرة ورفع الأغطية عنها"[1]

إذن حسب الغذامي يجب أن تتوفر مواصفات,وشروط وظيفية في النسق ,حتى يؤدي دوره,وهي كالآتي:

إذن حسب رأي الغذامي تحدد مواصفات الوظيفة كالآتي:

"أ. نسقان يحدثان معا في آن واحد وفي نص واحد أو فيما هو بحكم النص الواحد.

ب. يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

ج. لابد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا بوصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.

د. لابد أن يكون جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما لأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي.

هذه الشروط الأربعة إذا ما توافرت تكون أمام حالة من حالات الوظيفة النسقية وبالتالي فهي لحظة من لحظات النقد الثقافي"[2]

1 عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المرجع السابق، ص77.

2 المرجع نفسه، ص 77-78.

والنسق الثقافي هو" بمثابة ترجمة لنشاط اجتماعي في قالب أدبي فهو خطاب يقوم به الفرد عن وعي أو بدون وعي فهو ذو طابع جمعي ويخضع لبنية اجتماعية ذات طقوس وشعائر جمعية وينبغي لأي نسق حسب نظرية "تالكوت بارسونز" talkot parsons"أن يفي بأربعة متطلبات اذا كان يريد البقاء

1. التكيف: أن كل نسق لابد أن يتكيف مع بيئته.
2. تحقيق الهدف: لابد لكل نسق من أدوات, يحرك بها مصادره كي يحقق أهدافه, وبالتالي يصل إلى درجة الإشباع.
3. التكامل: كل نسق يجب أن يحافظ على التواؤم والانسجام, بين مكوناته أي الحفاظ على وحدته وتماسكه.
4. المحافظة على النمط: يجب على كل نسق أن يحافظ بقدر الإمكان على حالة التوازن فيه"[1]

فالنسق الثقافي يحمل جملة من المعتقدات والأفكار المثيرة للجدل الفكري لتناقضها مع المنطق في أغلب الأحيان وكذلك يمكن اعتباره صورة مغايرة, في ثوب مختلف كتابي"[2]

"إن الأنساق الثقافية هي قوانين وتشريعات أرضية من صنع الإنسان وهي تعبر عن تصور الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة ودراسة هذه الأنساق يفسر لنا العديد من إشكاليات الإنسان مع الطبيعة والدين والحياة وحتى مع نفسه"[3] "فالأنساق الثقافية قابله للتطور شانها شان كل عناصرالحياة.

حسب مقولة بارسونز parsons "[4] "الأنساق الاجتماعية مكونة من أجزاء قادرة على التأمل والتفكير اثناء قيامها بأدوارها"[5] كما يتسم النسق عند الغذامي بسمات أخرى.

1.عبد الفتاح أحمد يوسف: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، ط 1 2010 , الدار العربية للعلوم ناشرون ص 147.

2. المرجع نفسه، ص 150.

3.المرجع نفسه، ص 150-151.

4.المرجع نفسه، ص 151.

5.المرجع نفسه، ص 87.

" بما أن النص ليس أدبيا أو جماليا فحسب ولكنه حادثة ثقافية أيضا فإن الدلالة النسقية فيه تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل مع التصريح بوجود الدلالة الفنية أو القيمة الفنية للنص لكن هذه الأخيرة وما يتلبسها من قيم جمالية تلعب أدوارا خطيرة من حيث هي أقنعه تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها لعمل عملها الترويضي, الذي ينتظر من هذا النقد أن يكشفه.

- بما ان النسق دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة لم يصنعها مؤلف النص وإنما هي من صنع الثقافة والمستهلك من الجماهير – جماهير اللغة من كتاب وقراء– يتساوى فيها الجنس والمهمش والنخبوي.
- يعتبر النسق ذو طبيعة سردية, يتحرك في حبكة لذا هو خفي ومضمر, قادر على الاختفاء دائما وراء مظلة البلاغة والجمالية واللغوية تمر آمنة, تعبر العقول وتؤثر في الفكر والأزمنة.
- أن الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخية أزلية ومضمره ولها الغلبة دائما وكل ما رأينا منتوجا ثقافيا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع, فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمر, الذي لابد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه لأنه ليس طارئا وإنما هو جرثومة قديمه تنشط إذا ما وجدت الطقس الملائم"[1]

نستنتج أن الغذامي حدد المعايير النسقية , التي يستند إليها النقد الثقافي في استقراء النصوص, حيث جعل من النسق المضمر, النواة الأولى التي يحتكم إليها النص, في استنباط الأنواع النسقية والتي تستند إلى المرجعية الثقافية لكل مجتمع.

كما نستنتج أيضا, أن الغذامي بوضعه لهذه المعايير إستبدل الجملة النحوية بالجملة الثقافية(التورية الثقافية) وأخذ بالدلالة النسقية, بدلا من الدلالة الصريحة والضمنية ,كما أخذ بالمجاز الكلي الجماعي (المضمر الجمعي), في استنباط الأنساق بدلا من المضمر الفردي (المجاز البلاغي).

1. ينظر: عبد الله محمد الغذامي:النقدالثقافي,قراءة في الأنساق الثقافيةالعربية, المرجع السابق، ص 78–80.

ثانيا : الأدب القديم والدراسات النقد ثقافية

يعد التراث العربي رصيدا معرفيا, ومنبعا لكل ظامئ شغوف, مقبل على الدراسات النقدية, فقد كان منهلا للنقاد الذين أثروا به مكتبة النقد العربي بدراستهم, و بالمناهج النقدية التي كانت محكات, يحتكم إليها الخطاب العربي, منذ القرن الثالث الهجري إلى يومنا هذا, ومن معيار الذوق فالجودة والبلاغة ,في اللفظ والمعنى إلى معيار تقنين اللغة وموت المؤلف, ونقد النص واستنطاقه, لاستنباط معايير الجمال فيه, التي كانت الهدف من كل دراسة نقدية ومن كل منهج نقدي منذ أن بدأ النقد.

وبما أن التفكير المبدع لا يكبح جماح البحث, فقد حدث الإنحراف النقدي على يد الغذامي, بإخضاع النص, تحت محك النقد الثقافي ,لإستخراج الأنساق المضمرة ,التي تتلثم وراء الجمال الواعي, المستنبط في حقيقته من اللاوعي.

فطبقت هذه النظرية –النقد ثقافية– على التراث العربي, بيد أن الشعر أخذ حصة الأسد من الدراسة النقدية, وربما يعود ذلك لأن الشعر إلهام لا شعوري, يتناسب واستخراج الأنساق المضمرة, التي تعمل على استنطاق اللاشعور, لذا كانت الدراسات النقد ثقافية, متهافتة عليه أكثر من النثر, فحتى الغذامي المؤسس الأول لهذه النظرية, في النقد العربي طبق دراسته على الشعر العربي القديم ,في كتابه: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية, ليعالج نسق الفحولة الذي استخرجه, كنسق مضمر من هذه الدراسة, والذي يرمز بدوره إلى الديكتاتورية والطغيان, وانتقد بحدة شعر المتنبي, حيث جعله سببا في تعطيل قدراتنا, على التعبير عن شعورنا فجعلناه مرجعا, للإقتباس منه كلما احتجنا للتعبير عن أنفسنا, وهذا يعود لنسق النرجسية, وتضخم الأنا في شخصية المتنبي, فأقنعنا أنه الأفضل بين الشعراء.

وبما أن مرجعية التراث العربي واحدة, فإن الأنساق المضمرة مشتركة بين الشعر والنثر, وهذا الأخير حظي بالكثير, من الدراسات النقد ثقافية, في مختلف فنونه ونذكر بعضا منها.

1.النادرة:

تعد النادرة شكلا من أشكال السرد في الأدب العربي وذلك أن السرد القصصي نواتها.

وتنتمي في أصلها إلى الأدبي الشفهي , فتكون على سبيل الترفيه والترويح عن النفس, تدور في المجالس وحلقات الحديث, غير أن الجاحظ قام بتوثيقها, متخذا من حياة البخلاء مصدرا لإلهامه, بأسلوب أدب الهامش, فوصلتنا على النحو الذي هي عليه, وصارت موروثا حكائيا يعد مرجعا في فن القص, يتهافت عليها كل طبقات المجتمع, لما لها من ميزات قصصية تجعلها مختلفة, عن القصص القديم والحديث منها, لذلك حظي هذا الكتاب بالدراسة النقد ثقافية, لأنه كان صورة عن المجتمع, صور الحياة الإجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية, للواقع المعاش في العصر العباسي.

وقد لاحظنا جل المقاربات التطبيقية للنثر العربي القديم, من منظور النقد الثقافي هي أطروحات وبحوث جامعية نذكر منها:

- استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ دراسة ثقافية في كتاب البخلاء حسين حليمي جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر.
- تميز الجاحظ في بلاغته عن مختلف البلاغيين العرب, في التعبير عن أفكاره ببلاغة الصورة العقلية الذهنية, أكثر منها من الصورة اللفظية البيانية, فكانت نصوصه سهلة الفهم تصل بسلاسة, لكل عقول المجتمع بتذوقها الخاص والعام, فنصوص الجاحظ نصوص تأويلية تؤول الواقع المعاش لذا كانت تخفي وراءها قضايا و أنساقا, مضمرة تناولتها هذه الدراسة.

حيث كشفت هذه الدراسة, عن التذمر الكبير من الوضع الذي صارت عليه الدولة العباسية وهو نسق اجتماعي, بسبب صفة البخل التي تبناها الفرس, ونقلوها إلى الدولة العباسية, فالعربي الأصيل تميز بالكرم, عكس الفارسي وربما هي نتاج التحولات الإجتماعية الجديدة, في الدولة وتفاقم الطبقية, وكثرة

الفقراء والمهمشين, مما جعل الجاحظ يدق ناقوس الخطر, بأسلوب مانع وغير مباشر, واعتمدت الدراسة على التورية والجملة الثقافية.

فنجد التورية في قول الجاحظ:" والدليل أن ليس بهم خوف الفقر, وأن الجمع والمنع إما أن يكون منهم أو طبيعة فيهم, انك قد تجد الملك بخيلا ومملكته أوسع, وخرجه أدر وعدوه أسكن, وتجد أحزم منه جوادا, وإن كانت مملكته أضيق وخرجه أقل, وعدوه أشد حركة"[1] وهذا ما يعكس النسق الإجتماعي.

كذلك بينت الدراسة وجود النسق الأيديولوجي, "نظرا لانتشار الشعوبية, واختلاط العرب بالفرس وما نتج عنه من عادات وصفات دخيلة عن المجتمع العربي"[2].

وكذا النسق السياسي, الذي تمثل في التقرب والتكالب حول الأغنياء, بحثا عن المنفعة الخاصة بدل المنفعة العامة.

كما نجد التورية في قوله عن اجتماع البخلاء في المسجد:" اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الإقتصاد في النفقة والتنمية للمال, من أصحاب الجمع والمنع"[3] فأنتجت التورية بعدين أحدهما قريب والآخر بعيد," فمصطلح الانتحال, الذي وظفه الجاحظ للدلالة على مدى تعارض البخل, مع صفة الإيمان حسب تعبير الجاحظ وأن رصد اجتماعهم, في المسجد هو منبر خير ومكان إيثار ونفقة"[4]

1.الجاحظ :البخلاء, ص 242.

2.حسن حليمي: استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ، دراسة ثقافية في كتاب البخلاء،مجلة موازين,جامعةحسيبة بن بوعلي,شلف,الجزائر, المجلد 3، العدد 1 ،ص 61.

3الجاحظ:البخلاء. ص 59.

4 حسن حليمي: استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ، المرجع السابق, ص 62.

وكما ذكرنا آنفا فان الدراسة اعتمدت على الجملة الثقافية أيضا وهي: " مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي تفرزه الصيغة التعبيرية المختلفة وبهذا تكون الجملة الثقافية متولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة"[1]

يسلط الجاحظ الضوء من الجملة الثقافية "على قضية هامة وهي فقد الثقة ما بين الرعية والحاكم وهي نتيجة انتشار الشعوبية ومحاربة العرف العربي الذي بات مهددا في عصر الدولة العباسية ومدى امتداد الذات البخيلة في أوساط المجتمع"[2]

وفي هذا الصدد يقول محمد الخطيب عن الجاحظ:" لقد مدحت ما لام الله وحسنه ما قبح وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك وقد جعلنا ثواب عملك سماع قولك فما نعطيك شيئا"[3]

"يعكس هذا القول الجملة الثقافية التي تحدث عنها الغذامي إذ يعكس رد عن تساؤل ونفي صفة البخل وهذا يعطي صورة عن الوضع الاجتماعي في العصر العباسي الذي كان مخالفا البيئة العربية الأصيلة التي كانت تعرف بالجود والكرم"[4] فالجاحظ في هذا الكتاب, صور الحالة السياسية والاقتصادية والإجتماعية التي شاهدها العصر العباسي في انتقاد السلطة"وما خلفه استهتارهم من تدعيم الطبقية وتقسيم المجتمع وما خلفه دخول الفرس إلى الدولة العربية فظهرت كتيارموازي, فرقت ما بين أبناء الجنس الواحد"4 هكذا سلطت هذه الدراسة الضوء على الأنساق المضمرة والمتمثلة في النسق السياسي والإجتماعي والإقتصادي معتمدة في ذلك على التورية والجملة الثقافية.

---

1 يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، ط1 ،عام 2009 ص 165.

1.حسين حليمي: استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ،المرجع السابق, ص 63.

2.محمدعلي الخطيب: الصراع الأدبي مع الشعوبية، الجاحظ الشاعر القروي ,دار الحداثة,1983, ص 37.

3.حسين حليمي: استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ، المرجع ص 63

4.المرجع نفسه: ص63

2.الحكاية:

يتأثر الأدب بظروف عصره, كما يؤثر فيها ويتعدى هذا التأثر, من البيئة الميلادية إلى البيئات الأخرى, فيخترق حدود الزمان والمكان, وهذا ما بدا جليا في تأثر السرد العربي القديم, بالحضارات اليونانية والهندية والفارسية, وقد ساعدت الترجمة في إثراء هذا التأثر, إذ بدا واضحا في حكايات كليلة ودمنة وليالي ألف ليلة وليلة ,التي حفل بها السرد العربي القديم, والتي رافقتها الدراسات النقدية, منذ القديم إلى العصر المعاصر, نظرا لتأثيرها الشديد, في قريحة الكتاب والنقاد والقراء على حد سواء, ومن الدراسات النقد ثقافية, التي تناولت الحكاية نجد دراسة عنوانها: ألف ليلة وليلة قراءة في الأنساق الثقافية نماذج مختارة ل: عواس الوردي و: كمال طهير, جامعة عباس الغرور خنشلة, الجزائر. وقد حاولت هذه الدراسة "إلقاء الضوء على مختلف الأنساق الثقافية في حكايات ألف ليلة وليلة, والتي تعتبر من أهم أشكال الكتابة الإبداعية في السرد العربي القديم"[1] لأن نصوصها تحاكي الواقع, وتصور التفاعل الإجتماعي الثقافي والفكري بين مختلف الثقافات," ومعرفة أهم الأنساق المضمرة في ثنايا النص وربطها بالبنية اللفظية والوضع الاجتماعي والثقافي والتاريخي"[2], حيث تناولت الدراسة أيضا الحكاية الإطار لحكايات ألف ليلة وليلة, كما تناولت ألف ليلة وليلة إشكالية الهوية ثم الأنساق الثقافية في حكايات ألف ليلة وليلة التي أثمرت عن النسق الاجتماعي وهو محور الليالي الذي تعلق ب"الصراع القائم بين المرأة والرجل في سبيل الحياة"[3]

والنسق السياسي الذي تحفل به الحكايات, حيث "حملت الليالي معالم الصراع والاحتدام بين الثقافة الفارسية والثقافة العربية, وما حدث لهارون الرشيد, وصراعه مع الفرس والبرامكة وتحديدا مع جعفر بن

1.عواس الوردي، كمال طهير: ألف ليلة وليلة، قراءة في الأنساق الثقافية, نماذج مختارة مجله(لغة– كلام), المجلد 06/ العدد 03, 2020 المركز الجامعي بغليزان الجزائر ص 96.

2.المرجع نفسه ص 96.

3.المرجع نفسه ص 101.

يحيى البرمكي كما صورت الليالي بطريقه غير مباشرة سلطة هارون الرشيد المستبدة, والتي لا ترحم أي شخص تعدى حدوده"[1]

كما أن النسق الديني والأسطوري تمثل في الصراع بين اليهود المجوس والمسلمين، وتمثل الأسطوري "في قصص الجن والعفاريت التي توزعت بين مناصري الخير والشر"[2]

هكذا استنطقت الدراسة النقد ثقافية, في حكايا ألف ليلة وليلة, لياليها وحكاياتها, التي وجدها تحفل بالأنساق المضمرة الإجتماعية والدينية والسياسية والأسطورية.

كما نجد دراسة أخرى توسمت بعنوان" تشضي الفضاء في قصص ألف ليلة وليلة مقاربة سيميو ثقافية ل : أمال منصور جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر حيث" تكشف هذه الدراسة الأنساق الثقافية الثاوية وراء المتن حيث يحيل الفضاء فيها إلى ثنائية ضدية مهمة في مركز هامش"[3]

"وتسعى الصور الحكائية المرحة في ألف ليلة وليلة إلى نقد القيم الثقافية والإجتماعية لجمهور الشعب عبر المحاكاة الساخرة والتلفيق بين الأضداد"[4] ففي هذه الدراسة تبينت, أن قصص الليالي تؤسس لنوعين من الأنساق وهي الأنساق المركزية والأنساق الهامشية.

كما تناولت دراسة أخرى للحكاية في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع والتي كان عنوانها الأنساق الثقافية في كتاب "كليلة ودمنة".

محمد المحفلي جامعة حضرموت ,اليمن, تناولت هذه الدراسة تحليل حكايات كليلة ودمنة بمنهج نقدي ثقافي فتناولت استخراج الأنساق الثقافية المتجذرة في الكتاب وأثمرت على وجود نوعين من الأنساق

1.المرجع نفسه، ص 103.

2. المرجع نفسه، ص 104.

3 آمال منظور: تشظي الفضاء في قصص "ألف ليلة وليلة"، مقاربة سوسيو ثقافية، مجله العلامة، المجلد 6, العدد 1,تاريخ 2021/06/1 ص132.

4 أمال منصور: بيان شهرزاد المتشكلات النوعية لصور الليالي، الدار العربية للعلوم, ناشرون, بيروت ,ط1 ,2010 ص 369.

أنساق ثقافية مضمرة وانساق ثقافية أنساق ظاهرة, بمعنى أن وجودها داخل المتن وجود متجول وهو ما سهل تصنيفها والسيطرة عليها, سواء كان ذلك من قبل المؤلف أو من قبل القارئ, وقد تعددت هذه الأنساق التي منها نسق السلطة, والمراوغة, وتجسيد خطورة النسق السلطوي, وكذلك تصوير صراع الأنساق للإقتراب من السلطة والنوع الآخر يتضمن الأنساق المضمرة التي استطاعت لقوة نسقيتها, أن تواصل تخفيها تحت غطاء الترميز, كما نجد النسق الديني والإجتماعي وبالتالي رصدت هذه الدراسة نوعين هما: الأنساق الظاهرة والمضمرة التي توسطت بالجمالية البلاغية تحت غطاء السرد المشوق.

3.الأخبار:

الخبر شكل من أشكال السرد العربي, وهو في نظر بول ريكور:" مصدر أولي من مصادر معرفة الذات ومعرفة العالم"[1] والخبر هو خطاب ذو "أفق سردي معين, وأفق مستقبلي تتحكم به الوظائف المختلفة التي تعقب عملية التمثل واستخلاص المغزى والتأويلط"[2] ومن الدراسات النقد ثقافية, التي تناولت فن الخبر نجد دراسة عنوانها:

الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار, لابن قتيبة الدينوري دراسة تحليلية من إعداد عبد الله مطلق نهار الحربي, تناولت هذه الدراسة دراسة الأنساق الثقافية في مختلف

وجوهها في كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة حيث كشفت هذه الدراسة عن القيم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية المتخفية خلف الجمالية البلاغية, حيث قسم الباحث الأنساق في بحثه, إلى نوعين رئيسيين الأنساق الموضوعية والتي يندرج تحتها النسق الثقافي السيادي, والنسق الثقافي الأخلاقي, والنسق الثقافي الإجتماعي والنسق الثقافي التعليمي, والنوع الثاني هو الأنساق الثقافية الأدبية في "عيون الأخبار" ويندرج

1.بول ريكور: فلسفة بول ريكور، (الوجود والزمان والسرد)، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي، المركز الثقافي الدار البيضاء، 1999 ص 31.

2.إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات ,الدار العربية للعلوم, ناشرون, ط1 منشور الاختلاف الجزائر 2008 ص 24.

تحتها النسق الثقافي الخطابي والنسق الثقافي الشعري النسق الثقافي التراسلي (الرسائل) والنسق الثقافي للأمثال والحكم, النسق الثقافي للأخبار والحكايات النسق الثقافي للنوادر والمرح, وتوصل إلى أن :"النسق السيادي كان استحقاقا قبليا بغض النظر عن الكفاءة والجدارة فهو قائم على السمع والطاعة أكثر من قيامه على الحوار فالمجتمع الجاهلي كان مجتمعا ينهض على فئتين فئة السادة و فئة المسودين"[1], وأهم ما توصل إليه أيضا: "أن الأمثال والحكم والنوادر والطرائف عادات الناس, وتقاليدهم ونشاطهم الإجتماعي وبعض جوانب تفكيرهم وأنها الأنساق الأدبية الأكثر اكتنازا بالحمولات الثقافية المتنوعة والمختلفة وأكثر اختزالا لذاكرة الشعوب من غيرها وأقدرها على الإفصاح لما تمتاز به من صفات فنية وبلاغية"[2] نستنتج أن هذه الدراسة أضافت للبحوث السابقة تقسيمها للأنساق الثقافية بين الموضوعية والأدبية.

كما توصلت هذه الدراسة إلى أن المجتمع الجاهلي كان يقوم وينهض على النسق السيادي الذي قسم المجتمع إلى قسمين قسم السادة وقسم المسودين لا ثالث لهم.

ثالثا: أدب ابن المقفع

شهد بن المقفع سقوط الدولة الأموية وبزوغ شمس الدولة العباسية فتأثر أدبه واصطنع أسلوبه بالواقع فكان رائدا في النهضة الفكرية ومؤسس للنثر الفني حيث ألف بين الثقافة الفارسية, والثقافة العربية فكان أمير البلاغة العقلية, أكثر منها البلاغة الوجدانية, فهذب العقول بفكره التربوي, وربى الذوق الذي ألف فخامة اللفظ وصلابة الطبع, كصحرائه التي تغنى بها في الجاهلية بسليقته الفصيحة, التي تنم عن صفاء الطبع فاشترك ابن المقفع في هذا الأخير وهو صفاء الطبع غير أنه نحامنحى النثر للتعبير عن آرائه وأفكاره فأبدع وتفرد.

1 عبد الله مطلق نهار الحربي: الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دراسة تحليلية, رسالة ماجستير جامعة القصبة، 2005 س 101.

2.المرجع نفسه, ص 101

إن توجه ابن المقفع إلى النثر, لا يعني انعدام نتاج أدبه من الشعر لكنه قليل في الكم ثقيل بالحكمة وفي ذلك يقول الجاحظ في البيان والتبيين وكان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع مع بلاغه أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان الشعر إلا ما لا يذكر مثله وقد قيل لابن المقفع في ذلك فقال الذي أرضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا أرضاه "[1]

ونذكر من نتاجه ما أورده الماوردي (450 هـ) في كتابه "أدب الدين والدنيا"

"دليلك أن الفقر خير من الغنى وأن قليل المال خير من الثري

لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى ولم نر مخلوقا عصى الله بالفقر"[2]

كما قال:

"رزئنا أبا عمر ولا حي مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع.

فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلة ما في السداد لها قطع.

فقد جر نفعا فقد نالك أننا أمنا على كل الرزايا من الجزع"[3]

كما أنشد حين مقتله على يد أبي سفيان قائلا:

"إذا ما مات مثلي مات شخص يموت بموته خلق كثير

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا صغير ولا الكبير"[4]

"هذه الأبيات تعكس حقيقة ابن المقفع الداخلية وأنه كان شاعرا في طبعه لكنه أقرب إلى المفكرين والفلاسفة منه إلى الشعراء, وهي مع ذلك تحمل بين ثناياها فيضا شاعريا ونفسا رقيقة الإحساس, مرهفة

1.سالم معوش: عبد الله بن المقفع، مفكر وقضية, مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع, بيروت، لبنان 2004 ص 193.
2.المرجع نفسه: ص 194.
3.المرجع نفسه :ص 194.
4. المرجع نفسه: ص 193

الذوق,دأبها أن تتبع الخير والمحبة والحكمة ,من منبع أصيل يعانق الإنسانية يقدم لها صفحات, في سعادتها وبؤسها وأقوالا في سبل عيشها ومواجهتها لمشكلاتها ولعل ما يعكسه هذا البيت:

إذا ما مات مثلي مات شخص يموت بموته خلق كثير

من حقائق توحي بأن الرجل, كان شخصا يعيش في قلب الإنسانية ,عاش من أجلها ومات من أجلها وقدم عصارة فكره لها,إنه إنسانية في فرد واحد, قدم نفسه قربانا لخلاصها من ويلاتها ومن المظالم التي تحيط بها"[1]

من هنا نستنتج غلبه النثر على أدب ابن المقفع, لسلاسة النثر ومرونته وقدرته على التعبير, عن الأفكار والآراء التي يريد من خلالها ابن المقفع تشخيص الظواهر الاجتماعية والسياسية, السائدة آنذاك وعلاجها والتي نبذها, وفكر في التمرد عليها من خلال مخاطبة المسؤولين خاصة بأسلوب مباشر حينا وغير مباشر أحيانا أخرى.

1. النزعة الإصلاحية عند ابن المقفع

لا أحد ينكر أن الأدب وليد عصره, وقد كانت الكتابات خاصة منها الشعرية تظهر الولاء أكثر للحكام, وكانت تنطبع بطابع وجداني, تدور حول إهتمامات الإنسان, العابثة التي تتجه إلى الإتجاه الترفيهي, و تهتم بمواضيع الحب والمجون والرثاء والمدح ,عبر جل العصور الأدبية القديمة المختلفة ولم يسلم العصر العباسي, من هذه المظاهر فكان في بدايته يعيش فترة ضبابية, وفوضى في الدين والمعتقد لما آلت إليه الأوضاع التي تحول فيها الدين من معانيه السامية في النفوس إلى مظاهره ومعالمه الشكلية فافتقد المسلمون للإنقياد التلقائي للشريعة والدين الإسلامي فتمخض عن هذه الأوضاع, تعدد في الإتجاهات

1.المرجع نفسه:ص 194-195

والمذاهب الدينية منها والسياسية التي من مظاهرها علماء النقل وعلماء العقل أصحاب الحديث وأصحاب الرأي مما جعل المجال فسيحا أمام تعدد الطوائف الدينية والمذهبية, تحت لواء الدين الواحد وهو الإسلام.

"كما شجع هذا الجو على ظهور إتجاهات فردية واجتماعية دخيلة على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي كالنسك والزهد والتصوف ,هذه الإتجاهات والظواهر الفردية والاجتماعية وغيرها كازدهار الترجمة ودخول أقوام جديدة في الإسلام, ساعد بدوره على دخول أفكار وفلسفات غريبة عن الإسلام والمسلمين ك(المزدكية والمانوية), التي حملتها إلى المسلمين باكورة الترجمات, من اللغات المختلفة (الهندية والسريانية اليونانية والفارسية) إذ نقلت إلى العربية بعد فلسفات وعلوم وآداب الأقوام والمجتمعات الأخرى فيشير مؤرخوا هذه الحقبة أن هناك صفحه قد طويت من تاريخ الدولة الإسلامية, لتفتح صفحة جديدة بكل ما سيرافقها من تغيير في الأوضاع والمشارب وتعديل في القيم والمفاهيم, وحدة في المنطلقات والتطلعات على المستويين الفردي والاجتماعي"[1] كما نتجت هذه الظروف نزعات كالنزعة التنويرية, التي تطلب الحرية بكل ثمن ومن هذا المنطلق ,كان ابن المقفع الذي عاش هذه الهواجس, والذي لا يختلف عليه اثنان أنه صاحب فكر تربوي وصاحب قضية, نبعث من قلقه على مجتمعه فرأى أنه من واجبه ككل مفكر أن يساهم في تغيير أحواله وإصلاحها بغض النظر عما حيك حوله وقد" صنف المدرسون ابن المقفع في عداد كتاب "الوصايا والمرايا"الذي عنوا بالأخلاق وبآداب النفس, كما يعتبره آخرون من المصلحين الاجتماعيين الذين أعطوا ما أمكنهم كتابه وعملا ليقيموا نظاما اجتماعيا وسياسيا على أسس صحيحة ومن أجل غايات شريفة وأغراض سامية ولم يجد أولئك كبير العناء ليثبتوا هذه الخاصية أو تلك من خلال كتابات ابن المقفع إذ إن كتبه هو مؤلفاته تزخر بهذا النوع, من الأدب ومشبعة بالنصائح والإرشادات وبالحكم والمواعظ كما نجدها بطريقه مباشرة أو غير مباشرة لإصلاح الفرد والجماعة"[2]

1.عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن المقفع، الجاحظ ,عبد الحميد الكاتب،(موسوعة التربية والتعليم الإسلامية), ط1 ، 1405هـ – 1985م دار اقرأ بيروت الرملة البيضاء ص 118 –119.

2.المرجع نفسه ص 125.

ترجم ابن المقفع فكره التربوي من خلال كتاباته الأدبية ودعوته الإصلاحية التي تناول فيها التربوية والإصلاحية المؤسسة والموجهة لجميع فئات المجتمع وعلى رأسهم الحكام لأنه بصلاح الراقي تصلح الرعية وتستقيم أمورها.

لقد عالج ابن المقفع المواضيع والقضايا الإنسانية المطروحة, في بيئته ومجتمعه فجاءت مواضعه" من كلام الناس المحفوظ حرفا فيها عونا على عمارة القلوب وخسارة وتحلية أبصارها وإحياء التفكر وإقامة التدبير ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق"[1]

وجاءت وصاياه لأبناء قومه ومجتمعه انطلاقا من حاجة وبناء على واقع من أجل الإنتقال بهم نحو الأفضل أدبا وخلقا وسواء قدم أرائه هذه بناء على طلب الحاكم ليستعين بها على إصلاح نفسه ورعيته كما أشار هو نفسه في بعضها أو لأنه وجد أبناء قومه وأهل زمانه يفتقرون إليها وفي كلتا الحالتين فهو يقدمها ويعرضها حبا للخير وإحياء له فلعل أهل الزمن على الأكثر عاطلون عن حلية الأدب ولمطالعتهم جواهر كتاب كهذا يتحلون بزينة الفضيلة ويكون في هذا إحياء للخير"[2]

"أما القطاعات التي تناولها ابن المقفع, بتدبيره وتربيته لم نجد قطاعا واحدا من مجتمع كاتبنا لم يتناوله بالنصح والتدبير والإرشاد والوصايا ابتداء بالحاكم وانتهاء بالمحكوم حتى الطفل نجده قد تناوله بالتدبير والتنشئة وخصه برسالته التربوية (الأدب الوجيز للولد الصغير)"[3]

1.المرجع نفسه، ص 127.

2 المرجع نفسه، ص 127- 128.

3 المرجع نفسه، ص 128.

اعتبر ابن المقفع القطاع الأول الذي مس الحكام وأصحاب الأمر، والنهي في المجتمع" في قمة الهرم وهو قطاع القيمين على الأمور من حكام وولاة, وقادة وقضاة وأمثالهم ممن يشغلون مواقع قيادية"[1] ففي رأيه متى صلح الحاكم صلحت الرعية, حيث قال:" إذا صلح صنفان صلح الناس كلهم العلماء والسلطان"[2]

ويتكون هذا القطاع عند ابن المقفع من **إصلاح الحاكم نفسه** "موقعه على رأس الأمة عليه أن يتحلى بخلق ويتمتع بسجايا وطباع تناسب هذا الموقع ودوره القيادي ليحسن قيادة الأمة والسير بها إلى ما فيه خير وصلاحها"[3] يليه في القطاع نفسه **بطانة السلطان** ووزراؤه "ويكون هذا بحسن اختيارهم من ناحية وبحسن التدبر والتعامل معهم من ناحية أخرى"[4] وفي القطاع نفسه أولى اهتماما أيضا **للجند** حيث أدرك أهميتهم ودورهم في المجتمع, "وما يترتب على حسن تدبيرهم أو عدمها من أبعاد ونتائج ايجابية أو سلبية تنعكس على الوالي والرعية على السواء"[5] كما اهتم ابن المقفع أيضا **بالقضاة** "فهم المرآة التي تعكس عدل الحكام...فيطلب من هذه المرأة أن تكون صادقه وأمينة في آن"[6] كما يندرج في هذا القطاع **العمال في الأقاليم** "وهم المتولون أمر الأرض والخراج وهذا أمر جسيم عظيم كما يراه ابن المقفع"[7] وهما على صورتين "إما رجل أخذ بالخرق والعنف من حيث وجد"[8] و"إما رجل صاحب مساحه يستخرج زرع ويترك من لم يزرع فيغرم من عمر ويسلم من أخرب"[9]

1 المرجع نفسه، ص 129.
2 المرجع نفسه، ص 128.
3. المرجع نفسه، ص 129
4. المرجع نفسه، ص 129
5. المرجع نفسه، ص 130
6. المرجع نفسه، ص 130
7. المرجع نفسه، ص 130
8. المرجع نفسه، ص 131
9. المرجع نفسه، ص 131

كما ينتمي لهذا القطاع "**المقربون من السلطان وجلساؤه** الذين هم فناؤه وزينة مجلسه وألسنة رعيته والأعوان على رأيه ومواضع وكرامته والخاصة من عامته, لاحظ ابن المقفع أهمية هذه الفئة وما تحظى من الحاكم من مودة ومشورة وما تلقاه عنده من مدارة ومحاباة فإذا لم تكن على المستوى المطلوب من الخلق والسجائر لا شك أنها ستسيء للسلطان وإلى الأمة على السواء"[1]

وهكذا يكون ابن المقفع قدم منهجا إصلاحيا لقطب الحاكم وأصحاب الأمر والنهي في المجتمع بفكرة شمولية ويعد نظر ثاقب نابع عن خبرة بالمجتمع قصد استقامة أمور السلطان وبالتالي أمور الأمة جمعاء.

أما القطاع الثاني فتناول فيه ابن المقفع **إصلاح العامة** وهو العمل المتمم للقطاع الأول يشمل فئات من المجتمع تمثلت في إصلاح **كل امرئ مع نفسه** ثم تناول الإصلاح مع الأصحاب والإخوان وهذا الأمر من الصداقة والإخوة أولاه ابن المقفع أهمية كبيرة, في تنمية العلاقات الإجتماعية كما تناول فئة **الإعداء في** المجتمع, وكيفية التدبر والتدبير للتعايش في المجتمع فلا يفسد دين المرء، ودنياه ثم إصلاح العلاقة مع **السلطان** وهنا ينطلق من معادلة واقعية علميه ومنطقية تمثلت في" كما أن للسلطان على رعيته حق طاعته فإن للرعية على السلطان حق العدل فيها, أما عن مصادقته ومصاحبته والتعامل فهذا أمر يتطلب من العامة الترويض والتدريب عليه وحسن البلاء به ولا يخلو هذا البلاء من مخاطر واعلم أن أولي الأمر ارحمهم مقطوعة وحيالهم مصرومة إلا عمن رضوا عنه وأغنى عنهم في يومهم ساعتهم"[2]، كما لم يخف على ابن المقفع الإصلاح مع المرأة يصف ابن المقفع المرأة بوصفين متناقضين فينظر إليها على أنها شر لابد منه فيجب على الإنسان أن لا يتبع طريق الغرام بالنساء وإلا تضرر من كل النواحي الدينية و المالية والأخلاقية..الخ والوصف الثاني المناقض للأول يرى أن المرأة الصالحة عماد الدين

1. المرجع نفسه، ص 142
2. المرجع نفسه، ص 134

وعمارة القلوب وعون على الطاعة"[1] فتفهم من هذا الوصف أن الوصف الأول يقصد به المرأة غير الصالحة.

توصل ابن المقفع في منهجه الإصلاحي إلى: الإصلاح مع **الجسد** فالجسد أقرب شيء لنفس وذات الإنسان وعليه حق لذا أوجب عليه التعهد بالحفاظ عليه بمعرفه ما يضره وما ينفعه ليحفظ فيه. المرء دينه ودنياه.

وهذه هي الأمور التي جمعها ابن المقفع والقطاعات التي توجب العامة والخاصة, التعامل معها بكل تدبر حتى تحقق المنفعة في الدنيا وحسن المال في الآخرة.

ثم تناول ابن المقفع في هذا المجال الجانب الأخلاقي وأولاه أهمية كبيرة وسماها التربية الخلقية فهي في نظر ابن المقفع –الأخلاق– غاية ووسيلة في آن واحد "والأخلاق عنده نوعان المحمودة والمذمومة ومن واجب المرء اصطفاء المحمود وتعهده بالرعاية والعناية وعليه يقع أمر الكشف عن المذموم لنبذه وتنقية النفس منه هذان أمران يتمم أحدهما الآخر ولا يتحقق أحدهما إلا بالآخر لأن العلاقة بينهما عكسية ولا يكون نمو أحدهما إلا على حساب الآخر"[2] وقارئ آثار ابن المقفع من رسائل وكتب يلمس أن الأخلاق غاية بحد ذاتها في كتاباته وهي المحور الرئيس الذي تدور حوله الموضوعات.

–كما عالج ابن المقفع الأهداف التربوية والإصلاحية" فإذا حاولنا أن نبحث عن الصورة التي أراد ابن المقفع أن يكون عليها مجتمعه وأبناء عصره سنجدها في خيار الأزمان الذي تحدث عنه تلك الصورة المثالية التي سعى إليها والتي لا تتحقق لمجتمع ما إلا عندما يتحقق له صلاح الراعي والرعية في آن[3] ويعتبر ابن المقفع أفضل الأزمان هو الذي تصلح فيه الرعية ويصلح فيه الحاكم وهذا ما يسمى بالمدينة

1 .المرجع نفسه، ص 134.

2 المرجع نفسه، ص 135.

3 المرجع نفسه، ص 135.

الفاضلة, ابن المقفع الذي لا توجد إلا في ذهن المربين, كما وضع منهجية تربوية للإصلاح ومن بين هذه الرسائل العقل الذي خص الله به الإنسان دون سائر المخلوقات.

"فالعقل عنده وسيلة وغاية في آن كما أنه الوسيلة لتحقيق إنسانية الإنسان أيضا به تتحقق غايته إذ تجده يخاطب في كتاباته دائما العقل والعاقل وذو اللب حتى كاد أن يكون العقل عنده كل شيء ولا شيء سواه"[1]

كما جعل من **العلم والتعلم** (الموقف التعليمي التعلمي) جزءا من الوسائل التي لابد لها أن تقيم وتولى بالأهمية، "فيرى ابن المقفع أن العلم هو حياة العقول به تنمو كما تتحقق ماهيتها فكما أن الحبة المدفونة في الأرض لا تظهر قوتها ولا تطلع فوق الأرض إلا متى فيض الله لها الماء الذي به يذهب عنها اليبس والموت وكذلك العقول مكنونة في مغرزها لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندهم حتى يعتملها الأدب الذي هو نماؤها وحياتها ولقاحها"[2]

ففي نظري ابن المقفع أن العقل لا يقوم بوظيفته إلا بالعلم والتعلم فهو غذاؤها وقوتها.

ثم تناول ابن المقفع في منهجيته التربوية شروط وآداب المتعلم كما أولى عنصر **الدين** أهمية كبيرة في صلاح المعاش والمعاد فقد وضع ابن المقفع الدين على رأس غايات الإنسان وأقصاها "والدين في نظره هو الوازع والرادع الحقيقي لأخلاق المرء وسلوكه"[3]

وهكذا اعتبر ابن المقفع العقل و العلم غايات بحد ذاتها فإن الإنسان مهما عقل وحلم وعلم يبقى عاجزا أمام قضاء الله وقدره لذلك جعل الدين في سنام الغايات وضامن لكليهما

---

1. المرجع نفسه، ص 134.
2. المرجع نفسه، ص 141.
3. المرجع نفسه، ص 151.
4. عبد اللطيف حمزه,ابن المقفع,دار الفكر العربي,2007,ص133
5. الجاحظ:الحيوان,ج1ص91

2.آثار ابن المقفع :

شغل ابن المقفع بآثاره مكانة مرموقة, في الساحة العربية فرغم عمره القصير, إلا أن خلد أفكاره وذكائه وقدم خلاصة مشاهداته واستنتاجاته, وإقامة طرقا في التربية والتعليم والإصلاح ,لم يسبقه إليها أحد فكان عبقري زمانه بل وكل زمان.

وكان إلى جانب كونه أديبا ومفكرا وعارفا وبلاغيا لامعا وأسلوبيا على نمط خاص, هو نمط الكتابة العربية الجديدة المتأثرة بالتراث الديني الإسلامي, والأساليب البلاغية الفارسية واليونانية ولكثرة الأفكار وازدحامها في عقله وصدره كان يقف لتخيرها فقال فيه الراغب الأصبهاني:" كان قلم ابن المقفع يقف فقيل لهفي ذلك فقال :إن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي ليتخير"[1] وورد في البيان والتبيين للجاحظ على لسان أحدهم:" لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع قط".[2]

يرجع هذا الى الوسط الذي نشأ فيه ابن المقفع فبالإضافة إلى نباهته الفطرية وصفاء طبعه إلا انه صقل من بيئة كانت حلبة ومجمعا للرواة, وكانت عكاظ الإسلام أنذاك, والحاضرة التي يفد إليها فصحاء الأعراب, فقد نشأ في بيت خطابة وجذور فصاحة وهو بيت" الاتهم المنقري" "ولما تمت آلته في العربية تمامها في الفارسية لغة آبائه وأجداده تطلع إلى التخرج في صناعة الكتابة"[3]

وحذق في فنون العربية وتخرج فيها" جمع ابن المقفع العلم في زمانه من أطرافه فألف بين ثقافتي العرب والعجم أتقن اللغة الفهلوية الفارسية (الإمبراطورية الساسانية) إتقانا فريدا لم يتوفر عليه سوى القليلين من بني قومه فقال فيه ابن سلام: سمعنا من مشايخنا يقولون: لم يكن بعد الصحابة أذكى من"

1. عبد اللطيف حمزه,ابن المقفع,دار الفكر العربي,2007,ص133
2. الجاحظ:الحيوان,ج1ص91
3.السباعي بيومي: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، مطبعة العلوم, شارع الخليج، ط2 سنة 1356هـ 1937 ص 166.

الخليل بن أحمد" ولا أجمع ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع"[1] كما قال فيه الفراهدي:" ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله"

وقد تأثر العرب في هذا العصر بالثقافة الأعجمية التي نقلت إليها عن الفرس والهند واليونان نظرا للإنفتاح الذي شاهده العصر أنذاك, فكان ابن المقفع هو رائد الترجمة لأنه ارتضع الفارسية وتمرس بأساليبها فسطع نجمه و" سمق في عصره, مجده غير مزعزع وعد من البلغاء اللامعين في العالم العربي"[2] وكان حظ العربية منه ,أنه نقل ثقافة الفرس إليها وخاصة ما تعلق بالحكم والملوك, وذلك أنه "كان كاتبا من كتاب الدواوين لأنه كان مترجما عن البهلوية, إذ حاول أن ينقل إلى اللغة العربية خير ما عرفه في لغته الفارسية من تراث حول البلاط الإيراني منه:" خداي نامة" في سير سلوكهم كما ترجم " آيين نامة " وهو أنظمة الملك والدولة الساسانية وقد بقيت منه مقتطفات في عيون الأخبار لابن قتيبة تدل على أنه كان يعالج نظام القضاء وفنون الحرب ومكايدها كما ترجمه كتاب" التاج في سيرة أنوشروان" ورسالة تنسر وكل هذه الكتب كانت رسمية أصدرها البلاط الساساني"[3]

وتعود براعته في الترجمة ونحن نعلم أن من شروط الترجمة معرفة المترجم والإلمام بتراث المترجم له إلى ثقافته الواسعة فقد جمع بين حكمة وعلم الفرس ولغة العرب مما جعل منه سفير الحضارات لأنه ينقل الثقافة المتنوعة بين مختلف الشعوب وهذا يعود أيضا بالدرجة الأولى لتملكه ناصية اللغة فتمثل المعاني الأعجمية باللغة العربية"فثقافة ابن المقفع مستمدة من الثقافة اليونانية والفارسية الهندية والعربية ولقد صهر هذه العناصر وأذابها كلها في الثقافة العربية, حتى جاءت ثقافته كلها عربية بألفاظها وأسلوبها ولا تكاد تظهر عليها مسحة أعجمية"

1.فيكتور ، ابن المقفع: أديب العقل, دار الكتاب اللبناني، بيروت ط1، 1406 هـ 1986 م ص 6,ص7.

2.مأمون بن محيي الدين الجنان: عبد الله بن المقفع، حياته آثاره وأدبه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان سنة 1993 ص 98.

3.ينظر: شوقي ضيف, الفن ومذاهبه في النثر العربي, ط10، دار المعارف، القاهرة، ص 138.

وقد ترجمه ابن المقفع عددا من الكتب عن الفارسية كما ترجمه أيضا" بعض ما سقط إليها من كتب اليونان في المنطق وذكر له ابن النديم مختصرا لكتاب (العبارة) لأرسطو, فضلا عما ترجمه من سير الفرس وعهودهم وآدابهم"[1]

ولما كان الأدب مظهرا للتفاعل القائم, بين الأديب وظروف عصره, فقد كانت آثاره انعكاسا للحياة, التي تأثر بها حيث بدا ذلك جليا في نتاجه الأدبي فقط جاءت أرائه وأفكاره تصب في مجرى واحد ألا وهو البعد الإصلاحي, فمهما تعددت الطرق التي قدم بها خواطر أفكاره, فقد بدا جليا الهدف المشترك بين أعماله وهو إصلاح الفرد والمجتمع ,الذي حملها على عاتقه ورأى أن من وظيفته ووظيفة كل مفكر, إفاده مجتمعه بتغيير ما فسد وإصلاحه فكانت أفكاره المشتركة, موزعة في أكثر من رسالة وفي أكثر من كتاب مما كشف عن العناوين العريضة التالية:

- "غايات الإنسان وسبل إدراكها.
- العقل الذي وهبه الله للإنسان ماهيته ووظيفته.
- العلم دوره وشروطه.
- الدين أهميته وآثاره.
- تدبير النفس وسياستها.
- المشورة متى وكيف وممن؟
- الأصدقاء والخلان أهميتها للإنسان وطرق الاحتفاظ بهم.
- السلطان أو الحاكم حاجة رعية إليه التعامل معه مواصفات الحاكم الصالح.
- آداب : المجالسة والمحادثة والإستماع.

1. محمد سليم الجندي، عبد الله بن المقفع: دراسة لأدبه و طرف من سيرته ونخبة من كلامه، مطبعة الترقي بدمشق ص58 3.محمدخير الشيخ موسى:النثر الفني النقد العربي(فن الكتابة),مكتبة ابن كثير,ط1,الكويت,ص162

- المرأة رأيه بها وطرق التعامل معها.
- تدبير الرعي وآلامه والأعوان"[1]
- ومن آثاره ما ضاع وخاصة المترجمة منها عن الفارسية ولكن ثبت ذكرها عند المؤرخين وأهمها:
- "كتاب"النسكين" ويتضمن اخبار عن الفرس وسيرملوكهم
- كتاب" خداينامة " وهو كتاب آخر في تاريخ الفرس وسير ملوكهم وقد سماه(تاريخ ملوك الفرس).
- كتاب " آيين نامه" وفيه عرض للنظم الفارسية,وعادات الفرس وتقاليدهم يقال أنه كتاب كبير يقع في آلاف الصفحات.
- كتاب التاج (عرض) فيه سيرة أنو شروان أحد ملوك الفرس.
- كتاب (اليتيمة)أو الدرة اليتيمة.

ولابن المقفع ترجمه عن الفارسية لعدد من الكتب اليونانية ومنها:

- كتب ارسطو في المنطق قاطيغورياس، أي المقالات العشر وباري ارمينياس لي العبارة وأنالوطيقا أي تحليل القياس.
- كتاب إيساغوجي أو المدخل لفورفيوس الصوري"[2]
- أما آثاره التي بقيت متداولة وهي مستقات من آداب وحكم الفرس والهنود فقد "قرأ آداب الفرس والهنود وكتب الحكمة التي ترجمها كسرى أنو شروان من اليونانية فجعله كل هذا وحده زمانه"[3]

ومن الآثار التي بقيت وشكلت تراثا عربيا قيما في الأدب العربي ومهد السبل وفتح آفاق جديدة للأدباء بعده من خلالها هي كليلة ودمنة الأدب الصغير والأدب الكبير الدرة اليتيمة ورسالة الصحابة.

---

1 عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن المقفع الجاحظ، عبد الحميد الكاتب، المرجع السابق، ص160.

2.عمر الطباع :عبد الله بن المقفع, الآثار الكاملة، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان ط1، 1418هـ-1997م ص 20-21.

3.مارون عبود: أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، مؤسسة هنداوي للتعليم,والثقافة,2012 م ص 165.

1. **كليلة ودمنة:** هو كتاب من أصول هندية ثم نقل إلى اللغة الفارسية وقام ابن المقفع بترجمته, "ذهب بعض الأدباء إلى أن ابن المقفع كان يميل إلى الإصلاح الاجتماعي, وأنه تعمق في درس الحياة الإجتماعية في عصره فرأى كثيرا مما لا يحمد من الأمور, ومعظمها يرجع إلى حكام عصره ورأى أن الحرية السياسية غير متوفرة ,فلم يستطع أن يواجه الخليفة, وبطانته بالنقد الصريح, وكان زمن نضج فكره في زمن المنصور الشديد البطش, فرأى موقفه معه موقف بيدبا مع دبلشيم فترجمه هذا الكتاب وزاد فيه ليكون له من الأثر في الخلفاء والرعية ما كان في الهند وفارس"[1]

والكتاب عبارة عن قصص خيالية تدور أحداثها على ألسنة الحيوانات تعالج من خلالها آراء ومواقف وأفكار في شؤون الدولة العباسية بهدف إصلاحها.

يحتوي الكتاب على خمسة عشربابا, كل باب يمثل حكمة, فالكتاب كله عبر وحكم مستخلصة من تجارب الحياة.

2. **الأدب الصغير:** "هو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة, يشتمل على جملة من الحكم الرائعة, والموعظة الحسنة فيما يجب على العاقل والسلطان والوالي, وفيما يجب على من يحاول صحبتهما وعلى فضل العلم والأدب والأخلاق والإخوان والأعوان والمال وعلى مجانبة بعض الأخلاق الذميمة, وقد ذكره ابن النديم في جملة ما نقله ابن المقفع من كتب الفرس أما ابن المقفع فقد صرح في مقدمة الكتاب أن كل ما فيه ليس من كتب الفرس"[2]

3. **الأدب الكبير:** "وهذا الكتاب في الآداب, والحكم والمواعظ وأكثر الكلام فيه يدور حول السلطان والولاة ومن يتصل بهما والصداقة والصديق و آداب المحادثة, والمجالسة وما شاكلها وهو يشبه الكتاب

1.محمد سليم الجندي:عبد الله ابن المقفع, المرجع السابق، ص 103.

2 محمد سليم الجندي: عبد الله بن المقفع، المرجع السابق، ص107.

الأول في غايته وأسلوبه, ويخالفه في طول فصوله وترتيب حكمه, في أكثر المواطن وجمع الكثير من المتشابه منها إلى مثله"[1]

4. **الدرة اليتيمة:** "قال الأصمعي صنف ابن المقفع كثير من المصنفات الحسان, منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها وذكر ابن النديم في الفهرست في جملة ما نقل ابن المقفع من كتب الفرس كتاب اليتيمة في الرسائل وعدها في موضع آخر من الكتب المجمع على جودتها وقال المحبي فيما يعول عليه في المضاف والمضاف: إليه يتيمة ابن المقفع يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها, وهي رسالة نهاية في الحسن تشتمل على مجالس من الأدب"[2]

5. **رسالة الصحابة** : "من جملة رسائل ابن المقفع وآثاره الخالدة, رسالته المعروفة برسالة الصحابة ويريد بهم صحابة الخلفاء وأولي الأمر وهم خلفاهم وبطانتهم والمقربون منهم وهذه الرسالة تشتمل على كثير من الأمور المتعلقة بالدولة ورغبتها, وانتقاد الخطط المتبعة في الحكم والجباية والقضاء وعدم اعتبار الكفاءة في قيادة الجند وما شاء كل ذلك ويدل كلامه فيها على أنه كتبها للمنصور لأنه ذكر فيها أمير المؤمنين وذكر فيها الوزارة والكتاب قبل الخلافة وذكر فيها أبا العباس رحمة الله عليه.

ومن المحقق أن الوزارة إنما حدثت في عهد السفاح وأن ابن المقفع قتل في عهد المنصور وأول ما ابتدأ به هذه الرسالة الدعاء لأمير المؤمنين"[3]

1 المرجع نفسه ص 115.

2 المرجع نفسه ص 137.

3.المرجع نفسه ص 142

3.أسلوب ابن المقفع

بما أن النثر العربي تأثر بظهور الإسلام فإن كتابة ابن المقفع, تزامنت والطرق الجديدة التي خطها الأسلوب العربي المتأثر,بالثقافة العربية الإسلامية والمنهاج الذي ارتسمته في مسارها من صدر الإسلام إلى العصر الأمويوالذي عاش ابن المقفع أواخره,إلى بدايات العصر العباسي.

"يتفق الدارسون على القول بأن من أراد فهم أسلوب ابن المقفع عليه أن يضعه في إطاره التاريخي ضمن خطة تطوير الأساليب الكتابية العربية, والتي مر فيها النثر العربي بأدواره الثلاثة الرئيسية وهي الدور الخطابي ونثر الدواوين فنثر الكتاب"[1] وبما أن الأدب هو مظهر من مظاهر الحياة فهو يتطور بتطورها كما يعبر عنها في كل مناحيها.

"ففي عرف الدارسين عرف ابن المقفع بأنه رائد في مجال الكتابة النثرية والفنية, وأمام المنشئين بما له من دور في رقي الكتابة الفنية, ورواجها واتخاذها طريقا خاصا يعكس امتزاج الثقافات والأساليب المختلفة في عصره حتى ضرب به المثل في هذا النوع من الكتابة وفي إجادة البلاغة والبيان الأمر الذي جعله زعيم مدرسة كتابيه فنية في النثر العربي وأورد الجاحظ على لسان إسحاق بن حسان بن قومي رأيا في بلاغة ابن المقفع وهو: لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط"[2]

ولما سئل ابن المقفع" ما لبلاغه؟ قال البلاغة إسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة, فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"[3]

1.المرجع نفسه، ص 197.

2.المرجع نفسه ص 199.

3.المرجع نفسه، ص 199

وقد دأب ابن المقفع على تطبيق مقولته هذه, حتى قال عنه خليل مرد م أنه أكتب الحكماء وأحكم الكتاب"[1].

وذلك لأن ابن المقفع كتب الحكمة, وكان مقتصدا في ترتيب أفكارها وفي ترويض جملها بعذوبة ألفاظه وسلامه تراكيبه الأمر الذي دعا الدكتور زكي مبارك إلى القول في أسلوبه كان قمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو الأسلوب وهو أكبر كتاب عصره تأنقا في صوغ الجمل, وكان يقوم في النثر بما يقوم به زهير في الشعر وهو أحد الكتاب الذين لم يلتزموا السجع"[2]

ومن أبرز خصائص أسلوب ابن المقفع أنه سهل ممتنع وهذا مما قيل في أسلوبه وفي هذا تسجل جملة من الملاحظات تندرج تحت هذه الخاصية من بينها:

"يحاول ابن المقفع أن يقترب من المنطق في صياغة وصوغ تعابيره وتنسيق ألفاظه فهو يعمد إلى وضع أفكاره المتناهية في الدقة في قوالب المنطق والعقل, وهذا يفترض منه أن يلتزم قواعد المنطق في تحري الأسباب والعلل والنتائج , فطريقته في تقسيم العبارة ومفرداتها.

يستعمل فيها المنطق والقياس مفصلا ما يريد أن يذهب إليه واصفا المقدمة وعارضا للفكرة إيذانا بالتوصل إلى النتائج التي يريدها"[3]

"وكل جملة من جمله تختزن فكرة أو أفكارا مكثفة, ونجد في العبارة اللاحقة امتدادا للمعنى الأول دون أن يماثله بل هو يحمل الجديد من الأفكار فيه من التوضيح وتوليد المعاني الشيء الكثير حتى يصل إلى نهاية الفكرة. مبقيا على استعمال الأسلوب المنطقي نفسه, وهذا الأسلوب من أساليب المفكرين الحكماء الذين لا يطلقون أحكامهم جزافا وإنما يدعمونها بالأمثلة والمستندات التي تؤكد صحة أقوالهم"[4]

1.المرجع نفسه، ص 199.

2.المرجع نفسه، ص 199.

3.المرجع نفسه، ص 200.

4 المرجع نفسه ص 201.

أما التراكيب والألفاظ فنجدها مرتبة "ترتيبا دقيقا تبدو وكأنها منتقاة, فالألفاظ مدروسة إلى أبعد الحدود بحيث تأتي كل واحدة في مكانها منخولة في منخل دقيق الأمر الذي يجعلها شديدة الملاءمة, للمعنى الذي يريده الكاتب, أما التراكيب والعبارات فهي مشدودة إلى بعضها في نسق واحد من دون ازدحام تمتاز بالإحكام والإقتصاد من انتقاص في المعنى ولا يضر إذا لم يجنح بها الكاتب عبر الخيال أو يلبسها حلة قشيبة.

وحلته جمال الشكل ووقع الحروف والألفاظ كل في مكانه, الإيجاز سيدها والفصاحة تكتنفها حتى لا تنبو عن الذوق أو تفضح اللسان وتجعله يتعثر وهي قريبه منا سهله سلسة تحافظ على مستواها بعيدا من السوقية والغرابة والوحشية تنم عن صفاء الطبع عند ابن المقفع, الذي ينساب من ملكاته وإبداعه لينصب في فهم القارئ والسامع معاني قريبة المتناول من دون تعقيد وفي قلبيهما خواطر لا تخلو من أسر وعذوبة ووقع يقتحم الأذن اقتحام الريح فم الأزهار"[1]

وتأسس أسلوب الكاتب على" سهولة اللفظ والإبتعاد عن التعقيد والغرابة كما لا يخرج عن قواعد اللغة من نحو وصرف فكل مفردة تؤدي سياقها وتمثل الصورة خير تمثيل ومثال ذلك "القبرة والفيل" فقد انتقى المفردات لتؤدي الصورة التي أراد إيصالها للقارئ بحيث يصعب استبدال الألفاظ بما يرادفها فاستعمل "فوطئ عش القبرة وهشم بيضها" وهو استعمال مناسب فوطئ وهشم مناسبتان للمعنى بينما يستعمل " نق" للضفدعو و"فقأ" للعين و"يقمه" للفيل الأعمى الذي لا يبرح مكانه فيلتقط من الأرض ما يقيم أوده.

أما "الإيجاز" فقد كان السمة البارزة في أسلوبه كيف لا وهو الذي عرف البلاغة بأنها الإيجاز والتزم بهذه الطريقة في كل مؤلفاته فلا نجد إطنابا في أسلوبه إلا ما ندر وحسب ما يقتضيه الحال.

1 المرجع نفسه,ص 102 .

ومع الإجاز يتصاحب الوضوح في المعاني, والإجاز عنده غالب ما يكون استنتاجي ففي حديثه مثلا عن الدين يقول"[1]: "لا يثبت دين المرء على حالة واحدة أبدا ولكنه لا يزال أمرا زائدا وإما ناقصا"،[2] فإنه يستوفى المعنى على إيجازه وعلاقة هذا الإيجاز بالسياق العام الذي يتحدث عنه وهل الأمر يتعلق بالأخلاق والصفات العامة التي يجب أن يتحلى المرء بها".[3]

1. ينظر المرجع نفسه، ص 101-102.
2.المرجع نفسه، ص102.
3. المرجع نفسه، ص102.

الفصل الثاني

- ✓ **الأنساق الثقافية في الأدب الصغير والأدب الكبير**

تمهيد:

إن الخطاب الذي يتسم بالجمالية البلاغية, ولا يخلو من الذاتية يؤكد طغيان النسق وهيمنته, ويحول النص من حالة الفعل إلى حالة الثبات واللافعل, وبما أن النسق وحدة ثقافيه دالة, تتفاعل فيها مختلف العلاقات الاجتماعية و السياسية والفكرية, في ظروف تاريخية تكتسب فيها المعرفة أبعادا و قراءات تأويلية, تتجلى فيها رؤية القارئ والناقد على السواء, فيتحول القارئ إلى كائن نسقي, يتكلم باسم النسق الذي احتل ذائقته القرائية, كما سيطر على عاداته الذوقية و القرائية.

لذا كان النقد الثقافي مرصدا, لهذه الأنساق التي سيطرت على الذهنية الفردية, التي تمثل في الحقيقة الذهنية الجمعية, المستمدة من الأنا الجمعي وفي هذا الفصل سنسلط الضوء, على الأنساق الثقافية, في رسالتي الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع .

أولا:الأنساق الفكرية

إن البلاغة في نظر النقاد الثقافيين ,تؤسس للقيم القولية معزولة عن الفعل, وقد كانت مقولات ابن المقفع تمثل جملا ثقافية فهي لا تعتمد الحرية إلا شعارا, ولا ترتقي لتفعيلها في الواقع, فتبقى مجرد قيم وهمية لا تؤسس للواقع, وفي ذلك يقول الغذامي:" بما أن اللعبة البلاغية تؤسس لقيم القولية معزولة عن الفعل, وتصل إلى حد إلغاء الفعل, ولا تعتمد العقل أو الحرية وتغلب السالفة بالضرورة فهذا يعني سلب الخطاب من أهم قيمة حضارية"[1]

فالبلاغة في نظر هؤلاء النقاد لا تخدم العقل والفكر,"فهي قول مسلوب الفعالية"[2] ومن الأنساق الفكرية التي باتت جلية في كل قراءة.

1.الأب الأول(الأفضلية)

ويقصد من هذا النسق الأفضلية في السبق, ويتمثل هذا النسق في قول ابن المقفع:" إن وجدنا الناس قبلنا أعظم أجساما وأوفر مع أجسامهم أحلاما وأشد قوة وأحسن بقوتهم للأمور إتقانا وأطول عمرا وأفضل بأعمارهم للأشياء اختبارا.

فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين علما وعملا من صاحب الدين منا وكان صاحب الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل.

فوجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفصل الذي قسم لأنفسهم حتى أشركونا معهم فيما أدركوا من علم الأولى وزالآخرة فكتبوا به الكتب الباقية و ضربوا الأمثال الشافية وكفونا به مؤونة التجارب والفطن"[3]

"فمنتهى علم عالمنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم وغاية إحسان محسنا أن يقتدي بسيرته

1. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المرجع السابق، ص115.
2.المرجع نفسه، ص187.
3 . ابن المقفع، الأدبر الكبير، دار الكتاب العربي، ط3، 1420ه-1999م، ص67.

وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم فيكون كأنه إياهم يحاور ومنهم يستمع وآثارهم يتبع غير أن الذين جادة في كتبهم هو المنتقل من آثارهم والمنتقى من أحاديثهم"[1]

" فلم يبق في جليل الأمر ولا ضميره لقائل بعدهم مقال

فمن ذلك بعض ما انا كاتب في كتاب هذا من أبواب الأدب التي يحتاج إليها الناس"[2]

يقترح ابن المقفع من كلامه عقلين عقل صانع وعقل مستهلك, فيرى أن أسلافنا سابقون في كل شيء وكفونا مكابدة التجارب والتفكر, وأننا مهما صنعنا نحن نضيف فقط ولا نجدد, فالعقل الصانع هو عقل الأوائل حيث جمعوا كل الفضائل العقلية التي أحرزوها و ورثونا إياها, كالأب المشفق على أبنائه حيث يقول ابن المقفع أيضا:" فكان صنيعهم صنيع الوالد الشفيق على ولده الرحيم الذي يجمع الأموال والعقد إرادة ألا تكون عليهم مؤونة في الطلب، وخشية عجزهم إن هم طلبوا" [3]

فهذا النسق المتجذر نجده حتى في الأمثال الشعبية الذي يقول: أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة فالأكبر هو الأعلم" ولما تعرف أسلافنا على أرسطو وصفوه بالمعلم الأول وليس لمن يأتي بعده من مطمع إلا أن يكون المعلم الثاني بعد أن تخصص الأقدم بالأفضلية الطبقية المحسومة"[4]

كما بنى الأصمعي كتابه (فحولة الشعراء) وابن سلام الجمحي كتابه (طبقات فحول الشعراء) على معيار الزمن أي من هو الأقدم والأسبق، " على سلم هرمي يعتليه من هو أول وأقدم ويتدرج في التسلسل الطبقي حتى يأتي المتأخرون في ذ يل وليس للمستقبل أي موقع في الهرمية الفحولية الطبقية"[5]

حتى أنهم يقولون ما ترك الأول للآخر شيئا.

1 . المصدر نفسه، ص68.

2 المصدر نفسه، ص69.

3 المصدر نفسه، ص68.

4 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، المرجع السابق، ص133.

5 المرجع نفسه، ص133.

كما نجد هذا النسق يتقوى مع الزمن حيث نجد الأبناء أكثر نسقيه من الآباء لأن النسق لا يسمح للثاني أن يصل منزله الأول.

2.العقل:

أولى ابن المقفع العقل أهمية كبيرة بل وقدسه:" فذلك سليقة العقل مكنونة في مغرزها, من القلب لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعتملها الأدب الذي هو نمائها حياتها ولقاحها وجل الأدب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ليس حرفا من حروف معجمه ولا إسما من أنواع أسمائه إلا وهو مروي متعلم مأخوذ عن إمام سابق, من كلام أو كتاب فذلك دليل على أن الناس

لم يبتدعوا أصولها ولم يأتهم علمها إلا من قبل العليم الحكيم"[1] في هذا النسق يعرف ابن المقفع بماهية العلم مؤسس للطبقية فهو يجمع بين ثنائية العقل والعلم,الذي أطلق عليه الأدب واشترط أن يكون مأخوذا عن إمام سابق, وهو بهذا يمرر النسق المتجذر أنه من لم يتعلم فلا عقل له أي يكون مع طبقة الهامش, وإن تعلم يشترط في علمه أن يأخذه ممن سبقوه.

واشترط لنموه, وعلمه وصلاحه خصالا منها الإيثار بالمحبة, والمبالغة في الطلب وذلك في قوله:" وإنما إحياء العقل الذي يتم به ويستحكم خصالا ست: الإيثار بالمحبة والمبالغة في الطلب والتثبت في الإختيار والإعتقاد للخير وحسن الوعي والتعهد لما اختير واعتقد ووضع ذلك موضعه قولا وعملا"[2]

لم يكتف ابن المقفع بماهية العلم بل وضع له معايير نسقيه يحتكم إليها كل من نطلق عليه عاقل أو عقل راجح وإن لم تتوفر صنف مع الهامش.

1 ابن المقفع، الأدب الصغير، دار الكتب العربي، ط3، 1420هـ-1999، ص16.

2 المصدر نفسه، ص18.

ونجد العقل يذكر دائما مع العلم وجعل هذا الأخير غذاء للعقل وأشار إلى الإسراع بهذه التغذية وفي ذلك يقول "وليس غذاء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غذاء الأدب في نبات العقل"[1]

وهنا نسق مضمر أشار إليه ابن المقفع وهو اهتمام البيئة العباسية بثقافة البطن أكثر من ثقافة الذهن لذا تكلم كثيرا عن العلم والعقل فجعل العقل حارسا والمال محروسا.

وهنا تمرير نسقي أن المال يفنى دون عقل راجح, وهذا العقل مرتبط بالعلم وذلك في قوله " القسم الذي يقسم للناس ويتمتعون به نحوان: فمنه حارس ومنه محروس فالحارس العقل والمحروس المال والعقل بإذن الله هو الذي يحرز الحظ ويؤنس الغربة.

وينفي الفاقةويعرف النكرة ويثمر المكسبة ويطيب الثمرة ويوجه السوقة عند السلطان ويستنزل السلطان لنصيحة السوقة ويكسب الصديق ويكفي العدو"[2]

ثم أشار ابن المقفع إلى العقل الذي جعله سلطان الجوارح بأن الحكيم من غلب عقله على جوارحه فيقول" للدنيا زخرف يغلب الجوارح ما لم تغلبه الألباب والحكيم من لم يغض عليه طرفه، ولم يشغل به قلبه"[3]

فمن لم يغلب الدنيا بعقله غلبت الدنيا جوارحه ثم فاظل بين العقول وبين أوصاف أحسنها في قوله" ومن أحسن ذوي العقول عقلا أحسن تقدير أمر معاشه ومعاده تقديرا لا يفسد عليه واحد منهم الآخر"[4].

ثم بين تأثير العقل على الدين وينكر على الإنسان أن يكون له عقل إذا أغفل هذا العقل آخرته فقال:" لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجده من لذة دنياه"[5]

---

1 المصدر نفسه، ص19.

2 المصدر نفسه، ص33.

3 المصدر نفسه، ص36.

4 المصدر نفسه، ص46.

5 المصدر نفسه، ص54.

وجعل ابن المقفع المال هو العقل وأشد الفاقة هو عدمها فقال" أشد الفاقة عدم العقل وأشد الوحدة وحدة اللجوج ولا مال أفضل من العقل"[1] واستشهد ابن المقفع على قوله بقول حكيم قال:" قال رجل لحكيم ما خير ما يؤتى المرء قال غريزة عقل."[2]

نستنتج أن نسق العقل تعج به حكم ابن المقفع فقد كان طاغيا على رسائله وهذا لماله من قدر ومن دور في الحياة بجميع ضروبها الدينية والإجتماعية والسياسية فهو المسير لكل الأمور لذا ألبسه ابن المقفع معايير تجعله متميزا فيثابر الإنسان ويجتهد أن تكون فيه هذه المعايير وإلا فلايسمى بعقل وهنا دائما ابن المقفع نجده يعزز الجذر النسقي الطبقي حتى في العقل والتفكير كما جعل العقل في ثنائية مع العلم والدين والمال فهذه مقومات المجتمع.

3.العلم

جعل بين المقفع الجهل جسدا وروحه الشيطان فقال: "حياة الشيطان ترك العلم وروحه وجسده الجهل"[3].

من هذه المقولة نتعرف على النسق الممرر وهو فرض العلم على النفس فمن عاش دون علم عاش عيشه الشيطان فمن يرضى لنفسه هذه العيشة؟ فالنتخيل كيف رأى الأمي أو جاهل لنفسه حين يسمع بقول ابن المقفع فهنا تعتريه مشاعر الازدراء حتى من المجتمع وهو خلق للطبقية, الطبقة المتعلمة والطبقة الجاهلة التي لا تكون لها أي مشاعر الإحترام من طرف المجتمع.

1 المصدر نفسه، ص32.

2 المصدر نفسه، ص55.

3 المصدر نفسه، ص45.

ثم جعل غربالا ينخل هذا العلم وتجسدفي" أولو الألباب" ومرر نسق الطبقية في العلم وفاضل بين العلماء فليس كل عالم يعتد بعلمه في قوله" لا ينبغي للمرء أن يعتد بعلمه ورأيه ما لم يذاكره ذوي الألباب وما لم يجامعوه عليه فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد"[1]

ثم يجعل العلم في ثنائية مع العمل فنجد العلم والعمل ثنائي مرتبط فيقول:" عمل الرجل فيما لا يعلم أنه خطأ هوى والهوى آفة العفاف وتركه العمل بما يعلم أنه صواب تهاون والتهاون آفة الدين[2] فنجد تمريراته النسقية باتت جلية في سياق كلامه محققة لهدفه وهو تحري العلم بما تعمل وقال في ذلك "ومن العلم أن تعلم أنك لا تعلم بما لا تعلم"[3]

ثم نجد العلم في ثنائية مع الدين فإذا ارتبط العلم بالدين زادت منفعة العلم فيقول:" فضل العلم في غير الدين مهلكة وكثرة الأدب في غير رضوان الله ومنفعة الأخيار قائد إلى النار"[4]

ثم أشار ابن المقفع إلى العقل الذي جعله سلطان الجوارح بأن الحكيمة من غلب عقله على جوارحه فيقول" للدنيا زخرف يغلب الجوارح ما لم تغلبه الألباب والحكيم من لم يغض عليه طرفه ولم يشغل به قلبه

ثانيا.الأنساق السياسية

إن النظام السياسي هو البنية الأساسية للمجتمع قد تضمن رفاهيته أو شقائه فهو مرهون بمتغيرات تحكمه وتمثل نواته وهي: الصلاح –الفساد –القوة –الضعف –الأمان –الخوف.

لذلك كان أكثر شيء معرضا للنقد هو نظام الحكم والمسؤولين عنه.

هذا النقد الذي ترجمته الأعمال الفنية والأدبية في شكل جمالي يخفي وراءه الآراء الحقيقية ووجهات النظر من بينها رسائل ابن المقفع التي التحفت بلحاف النصائح ومعايير العلم والنظام نذكر منها:

1 المصدر نفسه، ص45.

2 المصدر نفسه، ص49.

3 المصدر نفسه، ص46.

4 المصدر نفسه، ص57.

1.السلطان-الولاية

أولى ابن المقفع اهتماما كبيرا لهذا الحقل السياسي وذلك لما له من أثر في المجتمع حتى رجح بأن هذا الحقل السياسي كان سببا في مقتله فقد كانت أنساقه السياسية التي مررها واضحة وجريئة نعرض من ذلك بعض أقواله:

" ولاية الناس شيء عظيم وعلى الوالي أربع خصال هي أعمدة السلطان وأركانه التي بها يقوم عليها يثبت: الاجتهاد في التخير والمبالغة في التقدم والتعهد الشديد والجزاء العتيد"[1]

وجعل التخير سنام النظام وهنا توجيه صريح يختفي وراء النسق وهو على السلطان أن ينتقي انتقاء سليما,لحاشيته لأنها تؤثر على جميع مناحي الحياة وذلك في قوله" فأما التخير للعمال والوزراء فإنه نظام الأمر ووضع مؤونه البعيد المنتشر فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا"[2]

واشترط على الوالي في الولاية ثلاث خصال في قوله" لتكن حاجتك في الولاية ثلاث خصال رضا ربك ورضا سلطان كان فوقك ورضا صالح من تلي عليه"[3]

ثم يمرر خلف هذا النسق رضا الناس غاية لا يمكن إدراكها فيقول" إنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس مالا يدرك"[4]

ويرى أن السلطان لا يقوى إلا بوزراءه وأعوانه لذا أكد على الانتقاء السليم وفي ذلك يقول" لا يستطاع السلطان إلا بالوزراء والأعوان ولا ينفع الوزراء إلا بالمودة والنصيحة ولا المودة إلا مع الرأي والعفاف"[5]

1 ابن المقفع: الأدب الصغير، المصدر السابق، ص29.

2 المصدر نفسه، ص30.

3 ا ابن المقفع: الأدب الكبير، المصدر السابق، ص73.

4 المصدر نفسه، ص74.

5 ابن المقفع: الأدب الصغير، المصدر السابق، ص31.

ثم يجعل سنام الولاية العدل فيقول" وأحق الناس بإجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالي الذي بعدله, يعدل من دونه والذي ما قال أو فعل كان أمرا غير مردود"[1] وهنا ابن المقفع يملي على الحاكم كيف يجب أن يكون أو بماذا يتصف وخاصة إن مكانة العلم والعلماء, ازدهرت في هذا العصر وبالأخص في عهد أبو جعفر المنصور حيث كان للعلماء مكانة ووزن, وكان كلامهم يؤخذ بعين الإعتبار.

كما يمرر ابن المقفع تحت هذا النسق حسن التثبت قبل الفعل والقول,وأن تصدق الأفعال أقوال ولي الأمر فلا يقول ولا يعد حتى يتثبت من أنه سيفعل.

فلا يقول ما لا يفعل وذلك في قوله:" ولا يضيعن الوالد تثبت عندما يقول وعندما يعطي وعندما يفعل فإن الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام وإن العطية بعد المنع أجمل من المنع بعد الإعطاء وإن الإقدام على العمل يعد التأني فيه أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه وكل الناس يحتاج إلى التثبت أحوجهم إلى ملوكهم الذين ليس قولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث"[2]

كما يتجلى نسق السلطة بوضوح في قوله: "إذا بتليت بالسلطان فتعوذ بالعلماء"[3] وهنا إشارة إلى مكانة العلماء فعل السلطان أن يستعين دائما بالعلماء.

وتعجب ورأى من العجيب أن يتولى السلطان ولاية الناس, ويريد أن ينقص من ساعات عمله ليتفرغ لحياة العبث والنوم, وهنا تمرير لنقد الفساد وذلك في قوله:" واعلم أن من العجب أن يبتلي الرجل بالسلطان فيريد أن ينقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات فراغه وشهوته وعبثه"[4]

1 ابن المقفع: الأدب الكبير، المصدر السابق، ص81

2 المصدر نفسه، ص83.

3 المصدر نفسه، ص72.

4 المصدر نفسه، ص72.

لقد عجت رسائل ابن المقفع بالنسق السياسي حيث أنه لم يترك شاردة ولا واردة, متعلقة بالسلطة إلا وتعرض لها بالنقد أو النقض أو النصح وهي جميعا تجعل المتلقي يفهم الأوضاع السياسية السائدة في ذلك الوقت.

فرغم عمق رسائله وجمالية بيانها, إلا أنها كانت مشفره تضمر نقدا لأوضاع السلطة باعتبارها مصدر تأثير في المجتمع.

2.المشورة

يرى ابن المقفع أن حسن التدبير يكون بالمشورة, وأفضل الناس من كان حوله إخوان صالحين, فيقيموه إذا أخطأ و ينصروه إذا أصاب وتجلى هذا النسق في قول ابن المقفع " لا تقذفن في روعك أنك إن استشرت الرجال, ظهر منك الحاجة إلى رأي غيرك فانك لست تريد الرأي للافتخار به, ولكن تريده للإنتفاع به ولو أنك مع ذلك أردت الذكر كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند أهل الفضل أن يقال لا ينفردوا برأيه دون استشارة ذوي الرأي."[1]

ثم يقول مؤيدا المشورة:" إن المستشير وإن كان أفضل من المستشار رأيا فهو يزداد برأيه رأيا كما تزداد النار ضوءا وعلى المستشار موافقة المستشير على صواب ما يرى والرفق به في تحضير خطأ أن أتى به وتقليب الرأي فيما شكى فيه حتى تستقيم لهما مشاورتهما "[2]

كما يقول:" الملك الحازم يزداد براي الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بموارده من الأنهار"[3]

مرر ابن المقفع تحت هذا النسق أهمية الحاشية فهو يصادق بطريقه مضمرة على أن المشورة لا تكون إلا من الحاشية وبالتالي على السلطان أن يحسن انتقاء حاشيته وهذا تمرير نسقي المقصود منه ولاة

1 المصدر نفسه، ص74.

2 ابن المقفع: الأدب الصغير، المصدر السابق، ص58.

3 المصدر نفسه، ص58.

الأمور وحاشيتهم فمن كانت حاشيته صالحة صلحت مشورتهم, والعكس صحيح فهو يقول للحاكم أصلح حاشيتك تصلح مشورتهم,فيصلح الملك.

3.الملك

قسم ابن المقفع الملك إلى ثلاثة أقسام:

ملك **دين** وملك **حزم** وملك **هوى** وذلك في قوله:" واعلم أن الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فأما ملك الدين , فإنه إذا أقام للرعية دينهم, وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم ويلحق بهم الذي عليهم أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم وأما ملك الحزم فإنه يقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن والتسخط, ولن يضر طعن الضعيف مع حزم القوي وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر"[1]

يقصد ابن المقفع من هذا التقسيم على إتباع الملك القسم الذي يجعل الرعية راضيه وينشر العدل ويسيس الأمور بحنكة وذلك بإتباع عالم الدين والحزم فإذا جمع بين الدين والحزم نشر العدل وأرضى الساخط وأقر الأمن والسلام أما الملك الثالث هو الذي يستند على عامل الهوى فإنه يهوى لا محال ومآله إلى الهلاك.

ثالثا.الأنساق الاجتماعية:

ينبع النسق الاجتماعي, من موروثات ضاربة في عمق الزمن, تحتكم للأنا الجمعي تصدر في شكل قوانين اعتباطية, تخضع للفرض أو القبول الاجتماعي دون مبرر منطقي, تفسيرها هو المجتمع حيث يحاول هذا الأخير الحفاظ عليها إما بالإستهجان أو الإستحسان, وتظهر في مظاهر سلوكية تخضع للنقد

1 ابن المقفع: الأدب الكبير، المصدر السابق، ص77.

في شكلها السطحي, رغم أن جذورها النسقية, ولدت من رحم المجتمع ومن هذه الأنساق التي تجلت في رسائل ابن المقفع نجد:

1.الصداقة:

لقد كان للصداقة في حياة ابن المقفع لها الأثر الكبير, فالصداقة عنده ترتقي إلى أسمى معاني الإنسانية, وفي نظره لا يأنس عيش إنسان دون خليل وضرب في الصداقة مع عبد الحميد الكاتب, مثالا يحتذى به فقد أراد أن يضحي بنفسه ليثبت صدق مبادئه في الصداقة ومن الأقوال التي تجلى فيها هذا النسق قوله:" والمودة بين الأخيار سريع اتصالها, بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل كوب مذهب الذي هو بطيء الإنكسار, هين الإصلاح والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبدا"[1]

وهنا تمرير نسقي يدعو فيه صحبة الأخيار لأنها صحبة لا تنقطع, فهي مبنية على قاعدة ثابتة أما صحبة الأشرار, يسهل انقطاعها وشبه صداقة الأخيار, بكوب الذهب وصحبة الأشرار بكوز الفخار.

واشترط في الصداقه شروطا, يجب توافرها فيمن تصادقه, وهو أن يكون على خلق ودين وذو علم فيأخذ عنه أو يوافقه وتمثل ذلك في قوله: " وعلى العاقل أن لا يخادن ولا يصاحب ولا يجاور من الناس – ما استطاع– إلا ذا فضل في العلم والدين والأخلاق, فيأخذ عنه أو موافقا له على صلاح ذلك فيؤيد ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل"[2]

هذه الشروط التي اشترطها ابن المقفع, تلبس صاحبها لباس المثالية, وبذلك يطلب من الإنسان أن يسعى جاهدا في أن يكون سلوكه مثاليا من صلاح دينه وخلقه ويعمل جاهدا في طلب العلم.

1 ابن المقفع: الأدب الصغير، المصدر السابق، ص60.

2المصدر نفسه، ص25.

ثم بين مظاهر الصداقة في قوله" ابذل لصديقك دمك ومالك"[1]

ومن أساسيات الصداقة عند ابن المقفع بذل النفس والنفيس والصبر,وعدم المبادرة إلى القطع يقول أيضا:" اجعل غاية نيتك في مؤاخاة من تؤاخي, ومواصلة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل إلا قطيعة أخيك وإن ظهر منه ما تكره فإنه ليس كالمملوك الذي تعتقده إذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخدانه فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلا من إخوانك, وإن كنت معذرا, نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء والملال فيه.

وان أنت صبرت مع ذلك مقارته على غير الرضا, دعا ذلك إلى العيب والنقيصة فالاتئاد والتثبت التثبت"[2],فإذاتخلى المرء عن الصديق كأنه تخلى عن عرضه ومروءته وأغرب الناس بتركه وعدم مصاحبته,لأنه لاأمان معه ولاخير فيه, فقد سن في هذا القول قوانين الصداقة الحقيقية وبين المهلهل والمزيفة منها.

ثم يفصل بين نوعين من الصداقة بل ويصنفها في قوله:" إذا نظرت في حال من ترئيه لإخوائك فإن كان من إخوان الدين فليكن فقيها ليس بمراء ولا حريص وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حرا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع[3]

فذكر في هذا النسق الصفات السيئة ,التي إذا توفرت في الشخص وجب الإبتعاد عنه وهذا من إخوان الدنيا.

أما إن كان من إخوان الدين, فيجب أن يكون فقيهاولا يرائي بفقهه أو دينه, وهنا دلالة نسقيه أخرى الرياء في الدين سيؤدي حتما إلى المعاملة بنفاق مع الصديق, فهنا تعدي الفاعل إلى فعل متعدد, ثم في أجمل وأسمى المعاني يضع صفة الصدق في أسمى الصفات ,وهنا اقتباس من السنة في حديث رسول

1 ابن المقفع: الأدب الكبير، المصدر السابق، ص102.

2 المصدر نفسه، ص108.

3 المصدر نفسه، ص109.

الله صلى الله عليه وسلم" عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا"[1] متفق عليه.

فيوصي ابن المقفع في مصاحبة الصديق الصادق في قوله:" اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا هم زينة في الرخاء وعدة في الشدة, ومعونة في المعاش والمعاد فلا تفرط في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والأسباب إليهم"[2]

وتبدو كل هذه النصائح,أقرب إلى التوجيهات,غير المباشرة,لعلاج ماآل إليه المجتمع العربي في ظل الدولة العباسية والتحولات الجديدة الطارئة عليه.

2.المرأة

يعد موضوع المرأة من الموضوعات الهامة التي أشارت إليها النصوص الأدبية والنقدية وقد أخذت حيزا كبيرا واستولت على القلوب قبل العقول منذ القدم.

ويرجع تناول موضوع المرأة إلى ذهنية ومرجعية الكاتب فقد كان لابن المقفع رأي في المرأة وتنوع حكمه بين كتابته في يتيمة السلطان, حيث قال عنها عماد الدين وعمارة البيت ,وعون على الطاعة شرط صلاحهااما في رسائله في الأدب الكبير فله رأي آخر فهو يعتقد بفسادها وفساد الدين لمن تبعها وسببا في ذهاب الوقار وهذا ربما لما عايشه ابن المقفع ورآه في مجالس الولاة والحكام فبنى على هذه الخلفية رأيه وفي ذلك يقول:"اعلم أن من أوقع الأمور في الدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل وأزراها للمروؤة وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار, الغرام بالنساء ومن البلاء وعلى المغرم بهم أنه لا ينفك يهاجم ما عنده تطمح عيناه إلى ما ليس عنده منهن"[3]

1 ابن باز: شرح بلوغ المرام، كتاب الجامع، باب الترغيب في مكارم الأخلاق 1533.

2 ابن المقفع: الأدب الكبير، المصدر السابق، ص112.

3 المصدر نفسه، ص121.

وفي هذا النسق يجمع ابن المقفع في الحكم على النساء ويرى أن طباع النساء متشابهه لا فرق بينهن فيقول:" إنما النساء أشباه وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفهم باطل وخدعة"[1]وهنا تكريس لدونية المرأة والتركيز على جسدها في ذهن المجتمع وهذا توارث قديم في ذهنية المجتمع طفا على سطح الإنتاج الكتابي.

3.الغاية

أوجب ابن المقفع على كل إنسان ,أن يضع غاية في الحياة وهدفا يصبو إليه, وأن يتحرى في ذلك سبل إدراك هذه الغاية وذلك في قوله:" أما بعد فإن لكل مخلوق حاجه وكل حاجه غاية ولكل غاية سبيلا والله وقت للأمور أقدارها وهيئ إلى الغايات سبلها وسبب الحاجات ببلاغها في غاية الناس وحاجتهم صلاح المعاش والمعاد والسبيل إلى دركها, العقل الصحيح"[2]

فابن المقفع في هذا النسق يمرر, أن غاية الناس هي صلاح الدنيا والآخرة, للوصول إلى هذا الهدف يجب أن يتميز الإنسان بعقل راجح,يقترب من الكمال.

4.إصلاح النفس:

يتجلى هذا النسق في رؤية ابن المقفع, والتي تتلخص في أن الإنسان إذا أراد الإنتصار ,على عدوه فعليه بإحصاء عيوبه وإصلاحها وتحصين عوراته, والإحتراز من نقاط ضعفه وإذا لم يتبع الإنسان هذه الخطوات فإنه بذلك يستسلم لخصمه ليرميه متى شاء وتبين ذلك في قوله:" ومن أقوى القوة على عدوك وأعز أنصارك في الغلبة له أن تحصى على نفسك العيوب والعورات كما تحصيها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحد من الناس هل قارفت مثله أو مشاكله فإن كنت قارفت شيئا منه

1 المصدر نفسه، ص121.

2 ابن المقفع المصدر السابق، ص15.

فاحصه فيما تحصي على نفسك حتى إذا أحصيت ذلك كله فكابر عدوك بإصلاح عيوبك وتحصين عوراتك وإحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسيا مصبحا.

فإذا آنست منها دفعا لذلك أو تهاونا فاعدد نفسك عاجزا ضائعا خائبا معورا لعدوك ممكنا له من رميك"[1]

1 ابن المقفع: الأدب الكبير، المصدر السابق، ص119.

خاتمة

خاتمة:

تحرت هذه الدراسة في موضوع الأنساق الثقافية في التراث العربي، مستنطقة لرسالتي الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع، وما خفي خلف أغطية البلاغة والجمالية, من أنساق ثقافية عبر الأدوات الإجرائية للنقد الثقافي، فكشفت عن زخم ثقافي في عباءة البلاغة، ويتضح من القراءة النقد ثقافية ,أن النصوص الجمالية كانت تتلبس أقنعة سميكة, تؤدي مهمة محددة في تمرير, المشروع النسقي بكل عيوبه, ومعارضاته الاجتماعية، والسياسية، والفكرية وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج ,نلخصها في النقاط التالية:

- كشف الدراسة أن سبب وضع ابن المقفع لهاتين الرسالتين، وتكييفهما، وتفصيلهما حسب الظروف السائدة في العصر العباسي الأول, كانت أسبابا سياسية واجتماعية وفكرية.
- جاءت موضوعات الرسائل في شكل حكم، وعبر وتوصيات، واقتراحات كانت إنسانية شاملة تتعدى الزمان، والمكان وتكشف عن أديب، ومصلح أسس بأدبه لمنهج تربوي بقواعد مثالية, لمجتمع مثالي في كل مجالاته.
- ان المجتمعات العربية تمتاز بالقيم المعيارية غير المفعلة، والتي تبقى منظرة في عالم المثاليات.
- ان الدراسات النقد الثقافية للنصوص الأدبية تعزز علاقة الأدب بالواقع، ولا تجعله حبيس القول بل تزيد من تفعيله، وفعاليته وتفتح أمامه باب الوظيفة، والمساهمة في تغيير البناء الثقافي في كل مظاهره.
- إن الدراسات النقد الثقافية تستلزم على الناقد الربط بين الأدب، والعلوم الأخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، وعلوم الدين.
- أفرزت المقاربة النقد الثقافي الأدب الصغير، والأدب الكبير جملة من الأنساق الثقافية تباينت بين الأنساق الفكرية التي تتمثل في نسق **الأب الأول**، والذي جعل فيه ابن المقفع الفضل للأولين الذين ورثونا

جميع الفضائل وجعلهم أصحاب العقول الصنيعة، حتى أنه شبههم بالوالد الشفيق على ولده فكانوا هم أولوا الألباب وما جاء من نتاج بعد نتاجهم، ليس إبداعا ولا تجديدا وإنما هو امتداد لما قدموه ونجد هذا النسق متجذر حتى في الأمثال الشعبية فالأقدم والأسبق يعتلي الهرم.

- كما جاء في الأنساق الفكرية نسق **العقل** الذي كان متداخلا مع كل الأنساق وكان نسقا محوريا لما له من قدسية في نظر ابن المقفع واضعا لمعاييرنا نسقية يحتكم إليها كل عقل حتى نطلق عليه عاقل أو نصفه بالرجاحة العقلية إلى جانب هذا النسق ورد نسق لصيق بنسق العقل وهو **نسق العلم** الذي جعله غذاء للعقل واشترط في العلم ليعتد به نيذاكره ألواالألباب، وإلا لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفردي علما أن أولوا الألباب هم العلماء الأولون.

فأفرزت دراسة الأنساق الثقافية بتصديقها على جعل الأولين، هم العقل الصنيع الذي يحتكم إليه نسق العقل والعلم معا.

- ثم نجد الأنساق الاجتماعية، والتي تحتوي على نسق **الصداقة** ،والتي أولاها ابن المقفع أهمية كبيرة وأسس لها شروطا وجعل فيها أنواعا وبين قوانينها.

- يلي ذلك نسق **المرأة** التي تبدو في ذهنية ابن المقفع ترمز للفساد في جميع الأصعدة، وطلب الإحتراس في العلاقة بها، إن كانت غير صالحة، أما إن كانت صالحة فهي عماد الدين، وعمارة البيت غير أن ذهنية الفساد غلبت على ذهنية الصلاح عند ابن المقفع.

- كما وجد نسق **إصلاح النفس** وذلك بعد المساوئ، و محاولة إصلاحها ، ومن الأنساق الاجتماعية أيضا نسق **الغاية** والذي أوجبه ابن المقفع فعل كل إنسان أن يحيا بغاية، وجعل أسمى الغايات صلاح الدنيا والآخرة ولكن اشترط في بلوغ هذه الغاية العقل الراجح في تمرير نسقي للسلطان، وأعوانه أن حياة الترف دون غاية فيهااستشعار للأخرة تنم عن عقل غير ناضج، وأن غاية الآخرة هي الدائمة والتي على الإنسان أن يصبو لتحقيقها.

- وأفرزت الأنساق السياسية نسق **السلطان** الذي كان مرتبطا بكل الأنساق، وكان نسقا محوريا ارتبط بالسلطان والولاية والولاة بكل جرأة والبسه لباس النصح والتوجيه.
- أدت هذه الأنساق دورا مهما في تكوين العناصر الثقافية لكتاب الأدب الصغير، والأدب الكبير فكان الصراع بين القيم الفكرية، والقيم الاجتماعية، والسياسية، والتي يهدف من خلالها ابن المقفع إلى بناء مجتمع مثالي منتقدا بواسطتها المجتمع، والسلطة وكان أكثر الأنساق بروزا هو نسق **السلطان** وكل ما له صلة بالولاية كما بين ابن المقفع القيم المثالية الواجب سلوكها، والسلوكات المرفوضة المستهجنة اجتماعيا ليؤسس لنقد متوازن في إرساء المعايير الثقافية لمجتمع مثالي.
- إن ابن المقفع وهو يعزز لهذه القيم مرر نسق تفعيلها فقد عايش ابن المقفع تلاشي هذه القيم، وأراد أن يفعلها مرة أخرى من خلال تعزيزها قوليا بإلباسها حلة النصح والتوجيه.
- ابن المقفع، وهو يسعى لإنشاء مجتمع مثالي أسس لنسق جذري وهو **الطبقية** فقد وضع شروطا للارتقاء إلى المثالية فجعل العقل طبقات، وجعل العلم طبقات والمتعلمين طبقات، وفاضل بين هذه الطبقات.
- توجد علاقة وثيقة بين النقد الأدبي، والنقد الثقافي بحيث يكمل كل واحد منهم الآخر في عملية التحليل وتفكيك شفرات النص بدءا بالجانب الجمالي، والبلاغي للغة وبنياتها ودور الخيال في بناء النص ليلية النقد الثقافي كخطوة موالية لفهم الأطر الثقافية والمعرفية لتشكل الخطاب الأدبي منطلقا من مبدأ لا وجود لميلاد نص مبتور الثقافة والمجتمع فالعلاقة علاقة تأثير وتأثر .
- من خلال استنباط الأنساق الثقافية في رسائل ابن المقفع نستنتج أن المجتمع العباسي كان يعيش طبقيه وتمايزا اقتصاديا واجتماعيا بين إفراده.
- النقد الثقافي هو ممارسة متشبعة بعده مناهج لا تستغني عنها منها المنهج النفسي والسيميائي والسوسيولوجي والبنيوي وعده فلسفات أخرى.

- يهتم النقد الثقافي بإنتاج الثقافة وتوزيعها واستهلاكها من خلال تحليل الخطاب وتفكيكه جماليا وبنيويا وسيميائيا وأسلوبي.
- إن النقد الثقافي من أهم الأدوات والاستراتيجيات النقدية التي تهدف لمقاربه الخطاب الأدبي بحثا عن آليات الثقافة التي ساهمت في تشكيل السياق العام.

قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن المقفع الأدب الصغير والأدب الكبير، دار الكتاب العربي، ط3، 1420هـ، 1999م.
2. ابن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، مادة (ن س ق) ، م 14، ط 1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1863.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424-2003.
4. ابراهيم مصطفى: أحمد حسن الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، مادة نسق، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع (دن) ، اسطنبول تركيا.
5. ابن المقفع: الأدب الكبير، دار الكتاب العربي، ط3 ،1420-1999 م .
6. إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1 منشور الاختلاف، الجزائر، 2008 .
7. اديث كوزيل: عصر البنيوية (تر ، جابر عصفور) ،ط1، دار سعاد الصباح، الكويت.
8. آرثر أيزابرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر، وفاء إبراهيم ورمضان، بسطاوسي، المجلس الأعلى للثقافة، شارع الجبلاية بالأوبرا، الجيزة، القاهرة .
9. أمال منصور، شرف الدين ماجد لينا: بيان شهرزاد، المتشكلات النوعية لصور الليالي، الدار العربية للعلوم، ناشرون بيروت، ط1 ،2010 .
10. آمال منظور تشظي: الفضاء في قصص ألف ليله وليله، مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة، العلامة المجلد 6 ،العدد 1 ،2021/06/1 .
11. بسام قطوس: المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ط1 ،2006م دار الوفاء لدنيا والنشر، الإسكندرية.

12. بول ريكور: فلسفة بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة وتقديم سعيد الغانمي، المركز الثقافي الدار البيضاء، 1999 .

13. حسن حليني استقراء الأنساق المضمرة في فكر الجاحظ دراسة ثقافية في كتاب البخلاء المجلد 3 العدد 1

14. حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم الناشرون، بيروت، ط1، 2007.

15. ريتشارد الياس وآخرون نظرية الثقافة تر علي السيد الصاوي د.ط علم المعرفة الكويت 1978.

16. سالم معوش عبد الله بن المقفع مفكر وقضية مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع بيروت لبنان 2004 .

17. السباعي بيومي تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي مطبعة العلوم شارع الخليج ط2 سنة 1356هـ 1937 .

18. صلاح قسوة: تمارين في النقد الثقافي" الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة القاهرة، د ط 2007.

19. عبد الأمير شمس الدين الفكر التربوي عند ابن المقفع الجاحظ عبد الحميد الكاتب موسوعة التربية والتعليم الإسلامية ط1 ، 1405هـ – 1985م دار اقرأ بيروت الرملة البيضاء ص 118 – 119.

20. عبد الفتاح أحمد يوسف لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة ط 1 2010 م الدار العربية للعلوم ناشرون .

21. عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، لبنان ، بيروت 2005 .

22. عبد الله مطلق نهار الحربي الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري دراسة تحليلية رسالة ماجستير جامعة القصبة 2005 .

23. عمر الطباع عبد الله بن المقفع الآثار الكاملة شركة الأرقم بن أبي الأرقم بيروت لبنان ط1، 1418هـ-1997م .

24. فيكتور ، ابن المقفع أديب العقل داروا الكتاب اللبناني بيروت ط1، 1406 هـ 1986 م.

25. مأمون بن محيي الدين الحنان عبد الله بن المقفع حياته آثاره وأدبه دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 1993 .

26. محمد خير شيخ موسى النثر الفني النقد العربي فن الكتابة مكتبة ابن كثير الكويت ط1 1997 .

27. محمد سليم الجندي عبد الله بن المقفع دراسة لأدبه و طرف من سيرته ونخبة من كلامه مطبعة دمشق.

28. ميجان الرويلي، .د سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي،ط2002،3 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب .

29. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ط1 ، عالم الكتب الحديث، عمان 2003.

30. نماذج مختارة مجلة لغة كلام المجلد 06/ العدد 03 2020 المركز الجامعي بغليزان الجزائر .

31. هارون عبود أدب العرب مختصر تاريخ نشأته وتطوره وسير مشاهير رجاله وخطوط اولى من صورهم مؤسسة هنداوي للتعليم .

32. ينظر شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي ط10، دار المعارف القاهرة .

33. يوسف عليمات النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم عالم الكتب الحديث ط1 عام 2009 .

الملخص

الملخص

الملخص باللغة العربية :

تناولت هذه الدراسة مقاربة رسالتي ابن المقفع – الأدب الصغير، والأدب الكبير– بآليات القراءة النقد ثقافية، بغية استخلاص الأنساق الثقافية الثاوية خلف المتن الجمالي والنابعة من اللاشعور الجمعي بتفعيل السلوك داخل القول البالغي، متخذة من هذا الأخير وسيلة لسبر أغوار الجذور المترسبة داخل البنية العربية التي تحكمها سلطة المجتمع بمعايير، لا تتجاوز حدود القول.

وأفرزت الدراسة أهم الأنساق في رسالتي ابن المقفع وهي الأنساق **الفكرية** والتي تمثلت في **نسق الأب الأول، ونسق العقل ونسق العلم وأنساقا اجتماعية** تمثلت في **نسق الصداقة، ونسق المرأة، ونسق الغاية** كما أفرزت الدراسة **انساقا سياسية** أيضا تمثلت في **نسق السلطان، ونسق المشورة** ونسق **الملك،** وتبين من الدراسة أن النسق المحوري والأكثر بروزا والذي ارتبط بكل الأنساق هو **نسق السلطان** وكل ما له صلة بالولاية.

وكشفت الدراسة أيضا أن ابن المقفع أسس لنسق جذري وهو الطبقية في سعيه سطحيا لإنشاء مجتمع مثالي، حيث جعل في كل نسق طبقات، وفاضل بين هذه الطبقات، وخلصت الدراسة إلى أن هذه الأنساق كانت أحد الروافد في تكريس وإنشاء بعض المظاهر **السلوكية، والفكرية منها والاجتماعية والسياسية** والمساهمة في بناء البنية التحتية للمجتمع، والتي طافت في النص بلباس النصح والتوجيه وارتدت أقنعة المثل والقيم.

الكلمات المفتاحية : الأنساق الثقافية ، الأدب الكبير ، الأدب الصغير ، البلاغة .

باللغة الانجليزية :

This study dealt with education, the index of school education, reading and writing, small literature and large literature with the mechanisms of cultural reading criticism in order to extract the radial cultural patterns behind the aesthetic body that stem from the latest method of exploring the depths of the roots. Limits to say.

The study showed the patterns that represent the views in the father‹s first format and the format represented in this study in the model that represents a typical model to represent the model and the property format and it turns out that the study and the models that were copied from the study and the models, the models, the models, the models, and the practices associated with the state.

The study also revealed that Ibn al-Muqaffa founded a radical system, which is classism, in his superficial endeavor to create an ideal society, as he made in each system layers and a virtuous one between these layers. The infrastructure of society, which circulated in the text in the guise of advice and guidance, and wore the masks of ideals and values.

key words : Cultural patterns, great literature, small literature, rhetoric.